



بيت المقدس

د. محمد عثمان شبير

افتتاحيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد . . فإن الله تعالى فضَّل من الأرض بقاعاً اختصها بتشريفه وتعظيمه، وجعلها مواطن للعبادة والطاعة، تضاعف فيها الحسنات وتنمو بها الأجور، وأخبرنا بذلك على ألسن رسله، وأنبيائه، لطفاً بعباده، وتسهيلا لطرق الخير والسعادة لهم، وأفضل هذه البقاع هى : مكة المكرمة، والمدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وبيت المقدس.

فمكة المكرمة أرض البيت الحرام الذي بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، جعله الله تعالى مثابة للناس وأمنا، وقال صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فيها : «إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحِل لى إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُعضد شوكه ولا ينفَّر صيده، ولا تلتقط لقطته إلا من عرَّفها، ولا يختلى خلاه[1] فقال العباس : يارسول الله ، إلا الاذْخِر[2] فإنه لقينهم[3]

---

١) لا يختلى خلاه : أي لا يقطع نباتها الرطب.

٢) الاذخر : نبات طيب الرائحة.

٣) قينهم : الحداد والصانع ومعناه يحتاج اليه القين في وقود النار.

وبيوتهم فقال : إلا الاذخر» أخرجه البخاري ومسلم[1]، وعن عبدالله بن عدي بن الحمراء رضى الله عنه قال : «رأيت رسول الله صلى عليه وسلم واقفاً على الحَزْوَّرَة[2] ويقول : والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ماخرجت» أخرجه الترمذي.[3]

وأما المدينة المنورة فقد بناها يثرب بن مهلائل الذي ينتسب إلى العمالقة، هاجر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم لإقامة دين الإسلام بها، وبنى مسجده فيها، وكان ملحده الشريف في تربتها، وقال صلى الله عليه وسلم فيها : «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها ـ وفي رواية دعا لأهلها ـ، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإني دعوت في صاعها ومدها بمثلي مادعا به إبراهيم لأهل مكة» أخرجه البخاري ومسلم.[4]

وأمـا مدينة بيت المقدس فقد بناها اليبوسيون في حدود سنة (٣٠٠٠ ق.م) وأطلقوا عليها اسم «يبوس» نسبة إلى جدهم الأول الذي ينتمي إلى الكنعانيين الذين هاجروا من الجزيرة العربية، واستوطنوا فلسطين في حوالي سنة (٤٠٠٠ ق.م) وفيها المسجـد الأقصى الذي هيىء للعبادة بعد المسجد الحرام بأربعين سنة كما ثبت في الحـديث.[5]، وهي مهبط المـلائكة، ومبعث الأنبياء، ومزارهم، ومدفنهم، وهى معراج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى السماوات العلى.

وتعتبر مدينة بيت المقدس أهم مدن فلسطين، فهي بمثابة القلب من الجسد، وهي أم المدن الفلسطينية وقراها. , قال ابن الأثير في تحديد بقعة فلسطين : «كورة معروفة مابين الأردن وديار مصر، وأم بلادها بيت المقدس»[6] أي أن مدن فلسطين كلها تبع لبيت المقدس وفرع عنها، وهي أصل البلاد، وليس لها في المدن الفلسطينية

---

١) ابن الاثير : جامع الاصول ٢٨٨/٩ وشرح النووي على مسلم ١٢٥/٧.

٢) الحزورة : موضع بمكة عند باب الحناطين وهو بوزن قسورة قال الشافعي : الناس يشددون الحزورة والحديبية وهما مخففتان (النهاية لابن الاثير ١/ ٣٨٠)

٣) ابن الاثير : جامع الاصول ٢٩٢/٩

٤) نفس المرجع ٣٠٨/٩.

٥) انظر الحديث في المبحث الثاني.

٦) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ـ دار الفكر ببيروت ٤٧١/٣.

عديل، كما يقال عن مكة أم القرى، وعن سورة الفاتحة أم القرآن.

وقد ثبتت لبيت المقدس وماحوله خصائص عامة، وأحكام خاصة في القرآن والسنة بعضها متناثر في كتب الفقه والأحكام، وكتب التفسير، وشروح الأحاديث، وبعضها جمع في كتاب مستقل، لكن يعوزه التحقيق والتخريج لكثير من الأحاديث والآثار، كما يعوزه التحقيق العلمي للمسائل الفقهية التي وردت فيه، فقمت بهذا البحث قاصدا أمرين :

الأول - إبراز خصائص بيت المقدس وماحوله بصورة واضحة وجلية، معتمدا على ماصح من الأحاديث والآثار، لتكون باعثا قويا لنفوس المسلمين على التعلق القلبي ببيت المقدس وماحوله، ودافعاً حقيقيا للشعور بمسئولية التحرير الكامل لأرض فلسطين.

والثاني - التحقيق العلمي في المسائل والأحكام الفقهية الخاصة ببيت المقدس، ليكون المسلم على بصيرة من أمره حينما يسمع بحكم أو ينوي تطبيق حكم منها، ومن هذه الأحكام :

١ - حكم الأرض المفتوحة عنوة أو صلحا.

٢ - استمرار صفة الإسلامية على أرض فلسطين بعد الاغتصاب.

٣ - حكم زيارة المسجد الأقصى، وشد الرحال إليه.

٤ - فضل الصلاة في المسجد الأقصى.

٥ - حكم الإحرام من المسجد الأقصى بالحج أوالعمرة.

٦ - حكم اقتراف السيئات في الحرم القدسي.

٧ - فضل المجاورة للمسجد الأقصى.

وقد تناولت بالشرح والتحليل ثلاث خصائص عامة لأرض بيت المقدس وما حوله، وهي : البركة، والقدسية، والإسلامية، وخصصت لكل منها مبحثا. تكلمت في المبحث الأول : عن معنى بركة أرض بيت المقدس وما حوله، ومنشأ البركة المعنوية فيها وآثارها.

وتكلمت في المبحث الثاني : عن معنى قدسية أرض بيت المقدس وماحوله، ومنشأ هذه القدسية وأثرها.

وتكلمت في المبحث الثـالث : عن إسلامية أرض بيت المقدس وما حوله، ومنشأ هذه الإسلامية ، وأثر الفتح الإسلامي على بيت المقدس وما حوله ، والأحكام الفقهية الخاصة ببيت المقدس وما حوله.

وختمت بحثي هذا بخاتمة لخصت فيها أهم نتائج البحث.

والله أسأل أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع، ويجعله في ميزان حسناتي يوم لاينفع مال ولابنون.

د. محمد عثمان شبير

المبحث الأول
بركة أرض بيت المقدس وما حوله

لقد نص الله تعالى على بركة أرض بيت المقدس وما حوله في كتابه الكريم ومن ذلك قوله تعالى : « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »[1] وقوله تعالى : « وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ »[2] أي أن الله نجى إبراهيم ولوطاً عليهما السلام، إلى الأرض المباركة ، وهي : أرض الشام، ومنها فلسطين ـ كما قال المفسرون[3] ـ بعد أن كانا في العراق.

وقوله تعالى : « وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ »[4] أي لسليمان عليه السلام تسخير الريح تهب بشدة، وتجري بسرعة إلى الأرض التي باركنا فيها، وهي : أرض الشام[5]

معنى البركة :

والبركة في لغة العرب : النمو والزيادة في الخير، وأصل البَرْك صدر البعير، وسمى محبس الماء بركة.

والبركة مشتقة من بارك الله في الشيء، ، وبارك عليه، وبارك له[6] والبركة في الشرع : «ثبوت الخير الإلهي في الشيء»[7] كثبوت الماء في البِركة. والمبارك ما فيه ذلك

١) آية : ١ من سورة الاسراء.
٢) آية : ٧١ من سورة الانبياء.
٣) ابن الجوزي : زاد المسير ـ المكتب الاسلامي ببيروت ط١ ١٩٦٤م ٥/٣٦٨، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ـ دار احياء التراث العربي ببيروت ١١/٣٠٥.
٤) آية : ٨١ من سورة الانبياء.
٥) انظر : ابن الجوزي : زاد المسير ٥/٣٧٤، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١١/٣٢٢
ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ـ دار المعرفة ببيروت ٣/١٨٧.
٦) انظر : الفيومي : المصباح المنير ـ المطبعة الاميرية ـ بالقاهرة ط٦ ١٩٢٦م ١/٦٢،
الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن ـ مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة ١٩٦١م ص ٤٤.
٧) الأصفهاني : المرجع السابق.

الخير الالهي .

بركة أرض بيت المقدس الحسية .

وبركة أرض بيت المقدس : حسية، ومعنوية . فالحسية : بالخصب والثمار، والأشجار والأنهار، وعذوبة الماء، والسهول، والجبال ، والمنخفضات، وبموقعها المتوسط، فهي قلب الوطن الإسلامي : حدودها من الشمال لبنان، ومن الشمال الشرقي سورية، ومن الشرق الأردن، ومن الجنوب خليج إيلات، ومن الجنوب الغربي شبة جزيرة سيناء، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط . وهي بوابة القادمين من آسيا في طريقهم إلى إفريقية، وبالعكس، وهى إحدى المنافذ المطلة على البحر المتوسط باتجاه أوربا ، وهي الممر الذي لابد من اجتيازه منذ قرون وقرون لمعظم القوافل المتحركة من الشمال إلى الجنوب، وبالعكس، وهي فضلا عن ذلك ذات موقع وسط بين بلدان العالم القديم على المستويين : الحضاري والعسكري، وربما كان هذا أحد الأسباب الرئيسة لاختيارها مبعثا لعديد من الأنبياء، ومستقرا للرسالات السماوية، ومنطلقا للجيوش الغازية والفاتحة لما حولها من البلاد، فقد مر بها الإسكندر المقدوني عندما غزا مصر سنة (٣٣٢ ق. م) واتخذها عمرو بن العاص قاعدة لانطلاق الجيوش الإسلامية لفتح مصر، وآثر المرور عبر السهل الساحلي ليُسْر المسير خلاله ومعرفة العرب دروبه، وقد كانت موانيء فلسطين قواعد لسفن المسلمين المتجهة لفتح جزر البحر الأبيض المتوسط .

ومن مظاهر البركة الحسية لأرض فلسطين: النشاط الزراعي الكثيف الذي تمخض عن وفرة في البحار والعيون والأنهار. قال ابن كثير - في بيان معنى قوله تعالى «باركنا حوله» - بالزروع والثمار[1] . وقال ابن الجوزي : ومعنى «باركنا حوله» أن الله أجرى حوله الأنهار وأنبت الثمار، وقيل : لأنه مقرُّ الأنبياء، ومهبط الملائكة»[2]

ولقد لفت هذا النشاط نظر الرحالة والجغرافيين الذين زاروا فلسطين، فأشاروا

---

١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٣/٢ .

٢) ابن الجوزي : زاد المسير في علم التفسير ٥/٥

إليه وقـالوا عن فلسطين : إنها من أخصب بلاد الشام، وأكثرها عمراناً على صغر رقعتهـا[١]، ثم وقفوا عند أشهر مدنها فحدثونا عما شهدوه فيها من زروع وثمار . . فالقـدس تعـد من أخصب بلدان فلسـطين[٢]، تحيط بها بسـاتين وكروم، ومزارع وأشجار فاكهة وزيتون[٣]. وتنتشر حولها قرى كثيرة الزروع والأشجار، وقد ازدهرت فيها زراعة الاترج، واللوز، والجوز، والتين والموز، فضلا غن السماق.[٤]. ومما لاشك فيه أن أكثر مزروعات القدس وفرة الزيتون الذي يستخرج منه الزيت، وكانوا يحفظونه في الآبار والأحواض، ليصدروه إلى أطراف العالم.[٥]

ولا تقل نابلس عن القدس في كثرة أشجار الزيتون فضلا عن البطيخ الأصفر المنسـوب إليهـا، والذي اشتهر بطعمه اللذيذ.[٦] ويصفها الدمشقي بأنها قصر في بستان[٧]، وبلغ من ازدهارها الزراعي : أن إقليمها اشتمل على ثلاثمائة قرية.[٨]

واشتهرت أريحا بزراعة : النخيل، والموز، والريحان، وقصب السكر[٩]، كما اشتهـرت بيسـان بكثـرة بساتينها وبخاصة النخيل والرز[١٠]، وعرفت الرّمْلةُ بكثرة فواكهها، وبخاصة التين والنخيل[١١]، واشتهر تينها بأنه لايوجد له مثيل في أي مكان آخر، وكانت تصدر منه كميات كبيرة إلى مختلف البلاد[١٢]. وتقع مدينة الخليل في

---

١) ابن حوقل : صورة الارض ـ منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ص ١٥٩
٢) نفس المرجع.
٣) اسحق بن الحسين : احكام المرجان ص ١٣ نقلا عن بحث فلسطين في الادب الجغرافي العربي للدكتور عماد الدين خليل ـ ضمن كتاب دراسات تاريخيه ـ المكتب الاسلامي ببيروت ط١/١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ص ١٢٦
٤) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٦٦، ياقوت الحموي : معجم البلدان ١٦٩/٥.
٥) ناصر خسرو : سفرنامه ص ١٩ نقلا عن بحث فلسطين في الادب الجغرافي ص ١٢٦.
٦) رحلة ابن بطوطة ـ دار احياء التراث العربي ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م ص٥٦، الدمشقي : نخبة الدهر وعجائب البر والبحر ـ طبعة ١٩٢٣م ص ٢٠٠ ـ ٢٠١.
٧) الدمشقي : المرجع السابق.
٨) الظاهري : زبدة كشف الممالك ـ مطبعة الجمهورية بباريس ص١٤٦.
٩) المقدسي : أحسن التقاسيم ص١٧٥، القزويني : أثار البلاد وأخبار العباد ـ دار صادر ببيروت ص١٤٢.
١٠) المقـدسي : المـرجع السابق ص١٦٢ ـ ١٨٠، أبو الفداء : تقويم البلدان ـ دار الطباعة السلطانية بباريس ١٨٤٠هـ ص٤٣.
١١) المقدسي : المرجع السابق ص١٦٤
١٢) ناصر خسرو : سفرنامة ص١٩ نقلا عن بحث فلسطين في الادب الجغرافي ص ١٢٧.

وهدة بين جبلين، وهي ملتفة الأشجار، كثيرة الثمار[1]، وبخاصة الأعناب والتفاح، والزيتون، والتين والخرنوب، والتي اشتهرت بكثرتها وكانت تصدر منها كميات كبيرة إلى مصر.[2]

وازدهرت عكا بزراعة أشجار الفواكه والزيتون[3]. وانتشرت في حيفا أشجار الفواكه وبخاصة النخيل[4]، وعلى سبعة فراسخ من عكا تقع قِيسارية التي ازدهرت فيها زراعة الفواكه، وبخاصة النخيل والحمضيات وقد وصفها المقدسي : بأنه ليس على بحر الروم (البحر المتوسط) بلد أجمل ولا أكثر خيرات منها، وأنها تفور نعمًا[5]. ولا تقل عنها خصباً عسقلان، ذات البساتين والثمار ، والتي يكثر فيها الزيتون والكروم واللوز والرمان فضلاة عن النخيل[6].

وأما مدينة غزة التي كانت تعرف بغزة هاشم (جد الرسول صلى الله عليه وسلم) فقد وصفت بأنها كثيرة الشجر كسماط ـ بساط ـ ممدود ، وقد ازدهرت فيها بشكل خاص زراعة الكروم والحمضيات.[7]

وكثرت في منطقة صفد أشجار الكمثرى المسكي المعطر الرائحة، الطيب الطعم، والأترج الذي اشتهر بحجمه الكبير، الذي يبلغ وزن الواحدة منه نحوا من ستة أرطال دمشقية على عهدة الدمشقي.[8] وهنالك ـ أيضا ـ الكروم والزيتون والبطم والخروب والسفرجل وأنواع كثيرة من الفواكه، وبلغ من اتساع نشاطها الزراعي أن اقليمها كان يضم ـ حسبما ذكر الظاهري ـ ألفا ومائتي قرية.[9]

وفي الجملة فإن سائر جبال فلسطين وسهولها ملأى بالزيتون، والتين،

---

١) ابن الوردي : فريدة العجائب وفريدة الغرائب ـ مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة ١٣٥٨هـ ص٤٢، ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٥٨.

٢) المقدسي , احسن التقاسيم ص١٧٢، ابو الفداء , تقويم البلدان ص ٢٤١.

٣) المقدسي : المرجع السابق ص١٦٢.

٤) ناصر خسرو : سفرنامة ص١٨ نقلا عن بحث فلسطين في الادب الجغرافي ص١٢٧.

٥) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٧٤

٦) المقدسي : المرجع السابق، الدمشقي : نخبة الدهر ص٢١٣، الظاهري : زبدة كشف الممالك ص٤٢.

٧) الدمشقي : نخبة الدهر وعجائب البر والبحر ص ٢١١.

٨) نفس المرجع.

٩) الظاهري : زبدة كشف الممالك ص ٤٢.

والجميز، والعنب، وسائر الفواكه[1]، فضلا عن قصب السكر التي ازدهرت زراعته في الغور، والقطن الذي كان يزرع في أطراف القدس، ويصدر الى عدد من البلاد.[2] ويرجع سبب هذه الكثرة في الأشجار والثمار إلى وفرة في المياه ففلسطين تقع على البحر المتوسط، وفيها البحر الميت وبحيرة طبرية، وهي بحيرة مشهورة، وماؤها عذب، وعلى جانب شواطئها تتفجر ينابيع شديدة الحرارة، وبخاصة عينها الجنوبية التي «تسلق البيض وتنضج اللحم» وماء هذه العيون ملحى كبريتي يُتخذ علاجاً طبيعيا لترهل البدن والجرب، وتزايد البلغم، وغير ذلك[3]، وفيها العيون والجداول والأنهار كعيون عسقلان، وعيون أريحا، وعيون وأنهار بيسان، وعيون الخليل، وعيون قيسارية، وعين سلوان في القدس، وغير ذلك[4]. هذا بالإضافة إلى كمية الأمطار الكبيرة التي تسقط على أرض فلسطين في فصل الشتاء.

البركة المعنوية لأرض بيت المقدس وما حوله.

وثمة جانب مهم من جوانب البركة التي اختص الله بها أرض بيت المقدس وما حوله، وهي : البركة المعنوية.

أولاً : منشأ البركة المعنوية لأرض بيت المقدس وما حوله.

إن منشأ البركة المعنوية لأرض فلسطين يرجع إلى عدة أمور، وهي : كون هذه الأرض مبعث الأنبياء ومهبط الملائكة، وكونها العش الذي يرقد فيه الأنبياء والأرض التي يبعثون منها، وكونها أرض المحشر، والمنشر، والحساب، ووضع الموازين للناس.

١ ـ أرض فلسطين مبعث الأنبياء ومهبط الملائكة.

شهدت أرض فلسطين عامة، وبيت المقدس خاصة، نزول الوحي السماوي

---

١) ابن حوقل : صورة الارض ص ١٥٨ ـ ١٥٩.

٢) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٨٠

٣) الدمشقي : نخبة الدهر وعجائب البر والبحر ص ٢١١ ـ ٢١٢، رحلة ابن بطوطة ص ٥٨

٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان ١٦٨/٥.

على كثير من الأنبياء كداود وسليمان، وعيسى عليهم السلام، الذين نشأوا وترعرعوا في أرض فلسطين، وعلى إبراهيم، ولوط، وموسى، عليهم السلام، الذين هاجروا إلى تلك الأرض المباركة.

قال تعالى - في هجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام إلى أرض فلسطين :- «فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ»[1]. قال قتادة : هاجرا جميعا من «كوثى» وهي من سواد الكوفة إلى الشام[2]. وقال تعالى : «وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ»[3] أي نجى الله إبراهيم وابن أخيه لوطاً عليهما السلام إلى الأرض المباركة وهي : أرض الشام - كما بينا سابقا.

وقال تعالى - في هجرة موسى عليه السلام إلى أرض فلسطين - :« وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ»[4]، وطلب موسى عليه السلام من قومه الاستمرار في هجرتهم ودخول أرض فلسطين فقال :«يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ»[5]

ولم يقتصر نزول الملائكة إلى هذه الأرض المباركة على الإيحاء بالتعاليم السماوية للأنبياء الذين بعثوا في هذه الأرض أو هاجروا إليها، وإنما تخطى ذلك بنزول دائم للملائكة، فهي تبسط أجنحتها على أرض الشام، كما ورد في الحديث الذي رواه زيد ابن ثابت رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «ياطوبى للشام، ياطوبى للشام، قالوا : يارسول الله، وبم ذلك ؟ قال : «تلك ملائكة الله باسطة أجنحتها على الشام»[6] أي أن الملائكة تحفها وتحوطها بإنزال

---

١) آية ٢٦ من سورة العنكبوت.

٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم - دار المعرفة ببيروت.

٣) آية ٧١ من سورة الانبياء.

٤) آية ١٣٨ من سورة الاعراف.

٥) آية ٢١ من سورة المائدة.

٦) رواه الترمذي في صحيحه ٥/٧٣٤، واحمد بن حنبل في مسنده ٥/١٨٤، والطبراني والحاكم قال : الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٦٠)، «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» وقال الحاكم : «صحيح على شرط الشيخين» ، فيض القدير للمناوي ٤/٢٧٤.

البركات ودفع المهالك والمؤذيات.[1]

بهذا وبغيره استحقت أرض الشام عامة وفلسطين خاصة : أن توصف بالبركة كما قال الزمخشري : «وقد جعل الله أرض الشام بالبركات موسومة، وحقت أن تكون كذلك، فهي مبعث الأنبياء، ومهبط الوحي، ومكانهم أحياء وأمواتا»[2]، وقال أبو عبدالله المنهاجي : «وجعل ـ أي الرب سبحانه ـ صفوته من الأرض كلها أرض بيت المقدس . . وقال تعالى لموسى : انطلق إلى بيت المقدس . . وتاب الله على داود وسليمان عليهما السلام فى أرض بيت المقدس ، وسخر الله لداود الجبال والطير ببيت المقدس، وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يقربون القرابين ببيت المقدس، وتهبط الملائكة عليهم السلام كل ليلة إلى بيت المقدس . . وولد عيسى عليه السلام ببيت المقدس، ورفعه الله تعالى إلى السماء من بيت المقدس . . »[3]

٢ ـ أرض فلسطين معدن الأنبياء، وعشهم الذي يرقدون فيه.

يرقد في أرض فلسطين كثير من الأنبياء، منهم : أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام، وقبره معروف في مدينة الخليل[4]، وإسحق ويوسف ويعقوب عليهم السلام. وسيدنا موسى عليه السلام، قبره على رمية حجر من بيت المقدس.

قال ابن الجوزي : «وفي الأرض المقدسة : إبراهيم، وإسحق، ويعقوب، ويوسف عليهم السلام»[5]

روى مسلم وغيره عن أبي هريرة قال : أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صكه ففقأ عينه، فرجع إلى ربّه فقال أرسلتني إلى عبد لايريد

١) المناوي : فيض القدير ـ دار المعرفة ببيروت ٤/ ٢٧٤ .

٢) نقله عنه المناوي في فيض القدير ٤/ ٣٤٢.

٣) ابو عبدالله محمد المنهاجي السيوطي : اتحاف الأخصّا بفضائل المسجد الاقصى تحقيق أحمد رمضان أحمد ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م ١/ ١٠٥ ـ ١٠٦ .

٤) اختلف العلماء في ثبوت القبر المعروف في مدينة الخليل لسيدنا ابراهيم عليه السلام، ولكن الصحيح الذي عليه الجمهور ـ كما قال ابن تيمية في الفتاوي (٢٧ / ٤٤٥) ـ أنه قبره أما قبر يونس والياس وشعيب واسحق فلا يعرف .

٥) ابن الجوزي : فضائل القدس تحقيق الدكتور جبرائيل جبور ـ منشورات دار الافاق ببيروت ص ٩٧ .

الموت. قال فرد الله إليه عينه وقال ارجع إليه. فقل له يضع يده على متن ثور ـ أي على ظهره ـ فله بما غطت يده بكل شعرة سنة. قال: أي رب ثم مه؟ قال ثم الموت. قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه الأرض المقدسة رمية بحجر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر»[1]

قال المازري: وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث، وأنكروا تصوره، فقالوا: كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت؟

والجواب عن ذلك: بأن معنى الحديث صحيح، ومعناه: أن موسى عليه السلام لم يبعث إليه ملك الموت وهو يريد قبض روحه حينئذ، وإنما بعثه اختبارا وابتلاء، كما أمر الله تعالى خليله بذبح ولده ولم يرد إمضاء ذلك، ولو أراد أن يقبض روح موسى عليه السلام حين لطم الملك لكان ما أراد. وأما اللطمة فهي مباحة عند موسى عليه السلام، إذ رأى آدميا دخل عليه ولا يعلم أنه ملك الموت، وقد أباح الرسول صلى الله عليه وسلم فقأ عين الناظر في دار المسلم بغير إذن، ومحال أن يعلم موسى عليه السلام أنه ملك الموت ويفقأ عينه. وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم عليه السلام فلم يعرفهم ابتداء، ولو علمهم لكان من المحال أن يقدم إليهم عجلاً؛ لأنهم لا يطعمون.

بعد دفع هذا الإشكال في معنى هذا الحديث، نبين موطن الشاهد وهو سؤال موسى ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر.

والأرض المقدسة هنا بلاد الشام عامة، وبيت المقدس خاصة، لفضل من دفن فيها من الأنبياء، فاستحب مجاورتهم في الممات. فإن قيل: لم سأل الإدناء منها ولم يسأل الدفن فيها؟ أجيب: بأن موسى عليه السلام إنما طلب ذلك عندما كان في أرض التيه، مع جيل الهزيمة من اليهود الذين فسدت طبائعهم، نتيجة ظلم الفراعنة لهم، حيث طبعت فطرهم بطابع المهانة والذل والجبن والعبودية للبشر. فتركهم الله تعالى في التيه أربعين سنة إلى أن أفناهم الموت. والأصل: أن النبي يدفن حيث يموت ولا ينقل.[2]

---

١) رواه البخاري في صحيحه ٩٢/٢، ومسلم في صحيحه ١٨٤٢/٤.

٢) انظر: العيني: عمدة القاري ـ دار الفكر ببيروت ١٤٩/٨

فلما كان موسى عليه السلام يعرف أن فتح بيت المقدس لايمكن أن يتحقق على يد جيل الهزيمة الذي خرج من مصر، سأل الله أن يقربه من بيت المقدس، ليدفن بالقرب من الأنبياء والصالحين.

وقيل : لأنه خاف أن يكون قبره مشهوراً عند بني إسرائيل، فيفتتنوا به.[1]

ومن الأدلة على أن أرض فلسطين معدن الأنبياء : أن الله عز وجل جمعهم لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وصلى بهم إماماً في المسجد الأقصى. روى ابن عباس رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المسجد الأقصى قام يصلي، فالتفت، ثم التفت، فإذا النبيون أجمعون يصلون معه»[2] وقال ابن كثير : «بيت المقدس الذي بإيلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام، ولهذا جمعوا له هناك كلهم فأمهم في محلتهم ودارهم، فدل على أنه الإمام الأعظم والرئيس المقدم»[3].

وقال أبو عبدالله المنهاجي : «يسَّر الله الأنبياء كلهم لرسول الله صلى الله عليهم وسلم، فصلى بهم في بيت المقدس»[4].

مما سبق يتبين : أن أرض فلسطين مباركة لكثرة مادفن فيها من الأنبياء والصالحين، حتى أن بعضهم أوصى أن يدفن فيها، وبعضهم طلب من الله أن يدفن في أرض قريبة منها. قال النووي : «وأما سؤاله - أي موسى عليه السلام - الادناء من الأرض المقدسة فلشرفها، وفضيلة من فيها من المدفونين ، من الأنبياء وغيرهم»[5].

٣ - أرض فلسطين أرض المحشر والمنشر.

روى الإمام أحمد بن حنبل - بسنده - عن ميمونة بنت سعد، مولاة النبي صلى الله عليه وسلم قالت : يانبي الله، أفتنا في بيت المقدس فقال : «أرض المحشر

---

١) انظر : النووي : شرح صحيح مسلم - المطبعة المصرية بالقاهرة ١٥/١٢٨
٢) مسند الامام أحمد ١/٢٥٧
٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٣/٢
٤) أبو عبدالله المنهاجي : اتحاف الاخصا ١/١٠٨
٥) النووي : شرح مسلم ١٥/١٨.

والمنشر»[1]

فبعد أن يخرج الناس من قبورهم يوم القيامة يساقون إلى بيت المقدس أرض الموقف، لينتظروا فصل القضاء بينهم، وفي الموقف يصيب الخلائق كرب شديد، فقد روى المقداد بن الأسود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقوية، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما، وأشار صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه»[2] وفي أثناء ذلك يكون أناس في ظل الله عز وجل كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: «سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لاظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله: اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»[3].

وبعد العرض على الموازين والحساب يتفرق الناس من بيت المقدس: إما إلى الجنة، وإما إلى النار. وذلك قوله تعالى: «وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ»[4].

قال أبو عبدالله المنهاجي: «وتوضع الموازين يوم القيامة ببيت المقدس وينفخ إسرافيل في الصور ببيت المقدس ... ويتفرق الناس من بيت المقدس إلى الجنة والنار»[5].

وقال ابن الجوزي: قال كعب: «العرض والحساب ببيت المقدس»[6].

---

1) رواه الامام احمد في مسنده ٦/٤٦٣، وابن ماجه في سننه كتاب الإقامة ١/٤٣٩ وهو حديث صحيح.
2) رواه مسلم في صحيحه، انظر مسلم بشرح النووي ١٧/١٩٦.
3) رواه مسلم في صحيحة انظر مسلم بشرح النووي ٧/١٢٠.
4) آية ١٤ من سورة الروم.
5) ابو عبدالله المنهاجي: اتحاف الاخصا ١/ص ١٠٧
6) ابن الجوزي: فضائل القدس ص ١٣٧.

ثانياً : آثار البركة المعنوية لأرض بيت المقدس وما حوله.

يترتب على كون أرض فلسطين مباركة عدة آثار منها : أنها عقر دار الإسلام في وقت اشتداد المحن والفتن، والمقيم المحتسب في تلك الارض كالمجاهد في سبيل الله والمرابط، وأهلها منصورون بإذن الله ماداموا على الحق المبين، ينتقم الله بهم من أعداء الدين.

١ ـ أرض فلسطين عقر دار الإسلام وقت اشتداد المحن والفتن.

تعتبر أرض فلسطين ملجأ للأنبياء والصالحين، يهاجرون إليها ويحتمون بحماها عند اشتداد المحن والشدائد، فقد هاجر إليها خليل الرحمن إبراهيم وابن أخيه لوط عليهما السلام، لعدم التمكن من إظهار الدين ونشره في أرض العراق. وخرج موسى عليه السلام تجاه بيت المقدس عندما اشتد به أذى فرعون وجنوده.

ويظل هذا الأثـر ملازماً لهذه الارض مادامت تتصف بالبركة الإلهية، وهى لاتنقطع مادامت السموات والأرض. وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين على ذلك في عدة أحاديث صحيحة . منها :

أ ـ روى الطبراني عن سلمة بن نفيل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «عَقْرُ دار الإسلام بالشام»[1] فالشام وقت اشتداد الفتن هي المكان الآمن لأهل الاسلام .

ب ـ عن عبـدالله بن عمـرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي، فنظرت فاذا هو نور ساطع، عمد به إلى الشام، ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام»[2]

جـ ـ وعن سالم بن عبدالله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ستخرج نار في آخر الزمان من حضرموت تحشر الناس . قلنا : فبماذا تأمرنا

---

١) حديث صحيح رواه الطبراني ورجاله ثقات (انظر الهيثمي : مجمع الزوائد ١٠/٦٠.

٢) حديث صحيح . اخرجه الحاكم وابو نعيم في الحلية وقال الحاكم «صحيح على شرط الشيخين» (انظر : الهيثمي : مجمع الزوائد ١٠/٥٧، الربعي : فضائل الشام ص ١٣

يارسول الله ؟ قال : «عليكم بالشام»[1] .

٢ ـ المقيم المحتسب في أرض فلسطين كالمجاهد في سبيل الله والمرابط .

من آثار بركة أرض فلسطين : أن المقيم فيها يعتبر مجاهداً في سبيل الله ومرابطاً، لأن هذه الأرض عرضة للغزو في كل وقت لمكانتها وشرفها، فهى محل أطماع الغزاة والفاتحين، ولذلك فهي تحتاج إلى أن يرابط فيها المرابطون، فيكونوا على أهبة الاستعداد لأي طاريء.

ولهذا كان قدر أهل الشام وفلسطين: أنهم مرابطون إلى يوم القيامة، روى الطبراني عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أهل الشام وأزواجهم وذرياتهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله، فمن أحتل منها مدينة من المدائن فهو في رباط، ومن احتلَّ منها ثغراً من الثغور فهو في جهاد»[2] .

وعن عبدالله بن حوالة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ستجندون أجناداً : جنداً بالشام وجنداً بالعراق وجنداً باليمن، فقال الحَوالي : يارسول الله، اختر لي ؟ قال : عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه. يجتبي إليها خيرته من عباده، فمن أبى فليلحق بيمنه، وليسق من غُدُره[3] فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله»[4] .

فقوله صلى الله عليه وسلم «عليك بالشام» أي الزم الإقامة في أرض الشام، لكونها موسومة بالبركة، ولأن الله قد تكفل لأهل الشام بالأجر والمثوبة على صبرهم ورباطهم في سبيل الله.

---

١) حديث صحيح. اخرجه أحمد (٨/٢ ، ٥٣) ، والترمذي وابن حبان والطبراني وابو يعلى. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦١/١٠) « رجاله رجال الصحيح » .

٢) رواه الطبراني، وقال الهيثمي في مجمه الزوائد (٦٠/١٠) : «فيه أرطاه ابن المنذر وبقية رجاله ثقات».

٣) وليسق من عذره : الغدر جميع غدير وهو الحوض والمعنى ان تتخذ كل جماعة من أهل الشام غديراً وتلتزم به ولا تزاحم الجماعة الاخرى على غديرها لئلا يكون ذلك سبيلا إلى الاختلاف وتهييج الفتن.

٤) حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود (انظر جامع الاصول ٩/٣٥٠، مجمع الزوائد ١٠/٥٨، فضائل الشام للربعي ص١١.

ضرورة وجود نية الرباط عند المقيم في أرض الشام.

ولا يعتبر كل مقيم في أرض الشام عامة وفلسطين خاصة مرابطاً في سبيل الله، إلا إذا كان محتسباً وناوياً للرباط أو الجهاد في سبيل الله تعالى، إذا كان من أهل النية والاختيار، لقوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امريء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ماهاجر إليه»[1]. وقال ابن قدامة: «إن الرباط يقل ويكثر فكل مدة أقامها بنية الرباط فهو رباط، قل أو كثر، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «رباط يوم» و«رباط ليلة» وقال أحمد: يوم رباط، وليلة رباط، وساعة رباط»[2].

فضل الرباط في سبيل الله تعالى.

بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث صحيحة فضل الرباط في سبيل الله تعالى، فالذي يقيم في ثغر من ثغور الإسلام بنية حفظ ذلك الثغر، ودفع العدو، له ثواب عظيم، يفوق ثواب الصائم القائم، وإذا توفى أجير من فتنة القبر، ويرزق كما يرزق الشهداء الذين تكون أرواحهم في حواصل الطير، تأكل من ثمر الجنة. ومن الأحاديث التي رودت في فضل الرباط:

١ - عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها»[3].

٢ - وعن سلمان رضى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر ووقيامة، وإن مات فيه أجرى عليه عمله

---

١) رواه البخاري في صحيحه ١/٢.

٢) ابن قدامة: المغنى ٨/٣٥٤.

٣) رواه البخاري في صحيحه ٣/٢٢٤.

الذي كان يعمل، وأُجرى عليه رزقه، وأمن الفتان».[1]

٣ ـ وعن فَضَالة بن عبيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل ميت يختم على عمله، إلا المرابط في سبيل الله، فإنه يُنمى له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن فتنة القبر»[2]

فقوله صلى الله عليه وسلم «أُجرى عليه عمله»، و «نُمى له عمله» يدل على أن العمل الذي مات عليه وهو الرباط في سبيل الله يقع أجره على الله، ولا ينقطع ثوابه إلى يوم القيامة، وهذا لايتعارض مع قوله صلى الله عليه وسلم «إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث» لأنه لامفهوم للعدد في الثلاث، أو لأن هذا العمل يرجع إلى إحدى الثلاث هنا وهو صدقة جارية.[3]

٣ ـ أهل الشام هم الطائفة المنصورة التي ينتقم الله بها من أعدائه.

روى البخاري عن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه قال ـ وهو يخطب: ـ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لاتزال من أُمتي أُمة قائمة بأمر الله لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»[4].

وفي رواية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، ولاتزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على ما ناوأهم ـ أي ناهضهم وعاداهم ـ إلى يوم القيامة»[5].

اختلف العلماء في بيان المراد بالطائفة أو الأُمة المنصورة، فقال البخارى: هم أهل العلم، وقيل: هم أهل الحديث. وقال البيضاوي: هم المجتهدون في الأحكام الشرعية والعقائد الدينية، أو المرابطون في الثغور، والمجاهدون لإعلاء الدين.[6]

---

١) رواه مسلم في صحيحه ٣/١٥٢٠، وأحمد في مسنده ٢/٢٠٤

٢) رواه الترمذي في سننه (٤/١٦٥) وقال حسن صحيح.

٣) انظر: النووي: شرح صحيح مسلم ١٣/٦٠، المناوي: فيض القدير ٥/٣٤، السرخسى: شرح السير الكبير ١/٩.

٤) شرح العيني على البخارى ٢٥/٤٨، جامع الاصول لابن الاثير ٩/٣٥١.

٥) المرجع السابق، صحيح مسلم ٣/١٥٢٤.

٦) شرح العينى على البخاري ٢٥/٤٨، المناوي: فيض القدير ٦/٣٩٦.

وقال ابن يخامر : سمعت معاذا يقول : هم أهل الشام، أو بالشام.[1].

ويؤيد ماذهب اليه معاذ بن جبل رضى الله عنه عدة أحاديث منها :

أ ـ ما روى الترمذي عن معاوية بن قرة ، عن أبيه رضى الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، ولا تزال طائفة من أمتي منصورين لايضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قلت يارسول الله، أين تأمرني ؟ قال : هاهنا ونحا بيده نحو الشام»[2].

ب ـ وما روى الامام أحمد عن أبي أمامة مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لعدوهم قاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قيل : يا رسول الله أين هم ؟ قال : ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس»[3].

جـ ـ ما روى أبو يعلى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله ، لايضرهم خذلان من خذلهم، ظاهرين على الحق، إلى أن تقوم الساعة»[4].

د ـ روى الطبراني عن خريم بن فاتك الأسدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «أهل الشام سوط الله في أرضه ينتقم بهم، ممن يشاء من عباده، وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم. ولا يموتوا إلا هماً وغما»[5].

هـ ـ وروى الامام مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لايزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»[6].

---

١) ابن الاثير : جامع الاصول ٩/٣٥١.

٢) سنن الترمذي ٤/٤٨٥ وقال : حديث حسن صحيح، ابن الاثير : جامع الاصول ٩/٣٥١.

٣) رواه الامام أحمد في مسنده ٥/٢٦٩.

٤) الهيثمي : مجمع الزوائد ١٠/٦٠ وقال : «رجاله ثقات».

٥) الهيثمي : مجمع الزوائد (١٠/٦٠ ـ ٦١) وقال رجاله ثقات.

٦) رواه مسلم في صحيحه ٣/١٥٢٥.

قال الامام أحمد : هم أهل الشام.[1] وقال ابن تيمية مؤيدا الامام أحمد : وهو كما قال لوجهين :

أحدهما : أن في سائر الحديث بيان أنهم أهل الشام.

والثاني : أن لغة النبي صلى الله عليه وسلم في أهل الغرب هم أهل الشام ومن يغرب عنهم، كما أن لغتهم في أهل المشرق هم أهل نجد والعراق، فإن المغرب والمشرق من الأمور النسبية فكل بلد له غرب قد يكون شرقا لغيره، وله شرق قد يكون غربا لغيره، فالاعتبار في كلام النبي صلى الله عليه وسلم لما كان غربا وشرقا له، حيث تكلم بهذا الحديث وهي : المدينة.

ومن علم حساب الأرض بطولها وعرضها علم أن حران والرقة وسميساط[2] على سمت مكة، وأن الفرات وما على جانبها من البيرة[3] بينهما في الطول درجتين اثنتين فما كان غربي الفرات فهو غربي المدينة وما كان شرقها فهو شرق المدينة.

فأخبر أن أهل الغرب لايزالون ظاهرين، وأما أهل الشرق فقد يظهرون تارة ويغلبون أخرى، وهكذا هو الواقع، فإن الجيش الشامي مازال منصوراً»[4].

وقد ظهر مصداق هذه النصوص على أكمل الوجوه في جهاد أهل الشام للصليبيين والتتار، فأيد الله المسلمين ونصرهم على أعدائهم أعداء الدين، عندما نصروا الله، ونبذوا ما بينهم من خلافات، والتزموا بهدى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

---

١) ابن قدامة : المغنى ٨/٣٥٥.

٢) سميساط : مدينة على شاطيء الفرات في طرف بلاد الروم (معجم البلدان).

٣) البيره : بلد فيه قلعة قرب سميساط.

٤) ابن تيمية : مناقب الشام وأهله مع فضائل الشام للربعي ـ المكتب الاسلامي ص٧٦ ـ ٧٧.

المبحث الثاني

قدسية أرض بيت المقدس وما حوله

لقد نص الله تعالى على قدسية هذه الأرض في كتابه الكريم، فقال على لسان موسى عليه السلام : «يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ »[1].

معنى القدسيه

المقدسة في الآية بمعنى المطهرة ، وقيل بمعنى المباركة، والمعنى الأول أصح ، لأن أصل التقديس التطهير، فالقُدس بمعنى الطهر، ويقال للسطل الدي يتطهر به قَدَس، وقال تعالى «ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك» أي نطهر أنفسنا لك ومن هذا : بيت المقدس، كما قال الزجاج والجوهري .[2]

وقال الأصفهاني : «التقديس التطهير الإلهى المذكور في قوله تعالى : «ويطهركم تطهيراً» دون التطهير الذي هو إزالة النجاسة المحسوسة، والبيت المقدس : هو المطهر من النجاسة أي الشرك ، وكذلك الأرض المقدسة،[3] فالقدسية بمعنى الطهارة من الشرك والظلمة والعدوان والعلو في الأرض.

*** أولا : منشأ قدسية أرض بيت المقدس وما حوله.**

ترجع قدسية أرض فلسطين إلى كونها أرض المسجد الأقصى والصخرة المشرفة، وهما موجودان قبل بعثة سيدنا موسى وعيسى عليهما السلام، أي قبل بناء هيكل يهود، وكنيسة المهد الموجودة في بيت لحم، وكنيسة النصارى الموجودة في القدس والمعروفة : بكنيسة القيامة، والتي كانت تعرف : بكنيسة القمامة نسبة إلى المكان الذي كانت اليهود صلبوا فيه المصلوب، وجعلوا يلقون على قبره القمامة.[4]

---

١) آية ٢١ من سورة المائدة.

٢) النووي : تهذيب الأسماء واللغات ـ دار الكتب العلمية ببيروت ٤/١٠٩ .

٣) الاصفهاني : المفردات في غريب القرآن ـ مكتبة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ص ٣٩٧.

٤) ابن كثير : البداية والنهاية ٢/١٠١ ، ٧/٥٦.

١ ـ أرض فلسطين أرض المسجد الأقصى :

يعتبر بيت المقدس ثاني مساجد الدنيا وجوداً بعد المسجد الحرام لما روى البخاري في صحيحه عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، أي مسجد وضع في الأرض أول ؟ قال المسجد الحرام ، قال : قلت : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : كم كان بينها ؟ قال أربعون سنة»[١] .

فإن قيل : الثابت أن الذي بنى المسجد الأقصى هو سليمان عليه السلام وبينه وبين إبراهيم عليه السلام أكثر من ألف سنة ، لما روى النسائي ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ان سليمان عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلالاً ثلاثا فأعطاه اثنتين ، وأرجو ان يكون أعطاه الثالثة . سأله مُلكاً لا ينبغي لأحد بعده ، فأعطاه إياه ، وسأله حكمًا يواطيء حكمه ، فأعطاه إياه . وسأله من أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه أن يخرج من الذنوب كيوم ولدته أمه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا أرجو ان يكون قد أعطاه الثالثة .[٢]

وقد أجيب على ذلك الاشكال بأن بيت المقدس أسس قبل أن يبنيه سليمان عليه السلام ، وما كان بناء سليمان للمسجد الأقصى إلا تجديداً له كما فعل إبراهيم عليه السلام في المسجد الحرام .

قال القرطبي : «إن الآية ـ أي قوله تعالى : «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ»[٣] والحديث لايدلان على أن إبراهيم وسليمان عليهما السلام ابتدآ وضعهما بل كان تجديدا لما أسس غيرهما»[٤] .

واختلف في أول من أسس بيت المقدس ، فروي : أن أول من بنى البيت ـ يعني المسجد الحرام ـ آدم عليه السلام ، فيجوز أن يكون ولده وضع بيت المقدس من بعده بأربعين عاما .[٥]

---

١) الحديث متفق عليه . انظر صحيح البخاري ١١٧/٤ ، جامع الاصول لابن الاثير ٢٧٥/٩ .

٢) الحديث أخرجه أيضا ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم في مستدركه . وقال صحيح على شرط الشيخين .

٣) آية ١٢٧ من سورة البقرة .

٤) انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٣٨/٤ ، العيني : عمدة القاري ٣٦٢/١٥ .

٥) القرطبي : المرجع السابق .

ويحتمل أن تكون الملائكة قد بنت بيت المقدس بعد بنائها البيت الحرام باذن الله، ويؤيد ذلك ما روي عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال : «أمر الله تعالى ببناء بيت في الأرض، وأن يطوفوا به، وكان هذا قبل خلق آدم، ثم إن آدم بنى منه ما بنى، وطاف به، ثم الأنبياء بعده، ثم استتم بناءه إبراهيم عليه السلام».[1]

والاحتمالان واردان والله أعلم.

أسماء بيت المقدس

ويرجع سبب تسمية بيت المقدس إلى : أنه المكان الذي يتطهر فيه أولياء الله من الذنوب والمعاصي، أو إلى أنه المكان الخالي من الشرك والأصنام، ولذلك كانت الملائكة تؤمه وتطوف به، وكان الأنبياء عليهم السلام يعبدون الله فيه، ويقربون القرابين فيه.

ذكر ابن الأثير في الكامل : « أنه أصاب الناس في زمان داود طاعون جارف، فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس، وكان يرى الملائكة تعرج منه إلى السماء، فلهذا قصده ليدعو فيه، فلما وقف موضع الصخرة دعا الله تعالى في كشف الطاعون عنهم، فاستجاب له ورفع الطاعون، فاتخذوا ذلك الموضع مسجدا، وكان الشروع في بنائه لإحدى عشرة سنة مضت من ملكه، وتوفي قبل أن يستتم بناءه، وأوصى إلى سليمان بإتمامه»[2]

وقد أُطلق على بيت المقدس أكثرمن عشرين اسمًا، وكثرة الأسماء إن دلت على شيء فهي تدل على شرف هذا المكان وقداسته، ومن هذه الأسماء.

المسجد الأقصى : وسمى بذلك لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام، فهى تبلغ حوالي مسيرة شهر أو لكونه لامسجد وراءه.

وبيت المقدس، ومسجد إيلياء، وسلم، لكثرة سلام الملائكة فيه، وأورشلم، أي دار السلام، وأورشليم، وبيت إيل وصهيون، ومصروت، وبابوش، وصلمون،

---

١) القرطبي : المرجع السابق.

٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ١/١٢٧.

وكوسيلا والقرية.[1]

٢ ـ أرض فلسطين أرض الصخرة المشرفة.

تعتبر الصخرة المشرفة في بيت المقدس كالحجر الأسود في البيت الحرام، فهي مقدسة ومشرفة، ومصدر قدسيتها أن الملائكة يصعدون منها إلى السماء، وهي المكان الذي صعد منه النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء والمعراج إلى السماوات العلى، وهي المكان الذي يُنادى منه الناس يوم القيامة، لقربها من السماء، ويؤيد ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: «وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ»[2] حيث قال المفسرون: المنادي إسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي يا أيها الناس: هلموا إلى الحساب، إن الله يأمركم أن تجتمعوا لفصل القضاء، وهذه هي النفخة الأخيرة.[3]

قال قتادة: قال كعب الأحبار: يأمر الله تعالى ملكاً أن ينادي على صخرة بيت المقدس: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، إن الله تعالى يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.[4].

وروى عن ابن عباس ومكحول وكعب وأنس بن مالك: أن صخرة بيت المقدس من صخور الجنة[5].

وقد بحثت عن هذا الأثر في كتب الحديث المتوفرة لديَّ فلم أعثر عليه.

---

١) انظر: الزركش: أعلام الساجد باحكام المساجد ـ دار التحرير للطباعة بالقاهرة ١٣٨٤هـ ـ ٢٧٧، الجراعي: تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد. المكتب الاسلامي ط١ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ص١٨٤، المنهاجي: اتحاف الاخصا ١/ ٩٣.

٢) آية ٤١ من سورة ق.

٣) انظر: ابن الجوزي: زاد المسير ٨/ ٢٤، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٧ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٣٠.

٤) ابن كثير: المرجع السابق.

٥) ابن الجوزي: فضائل القدس. ص١٣٩.

ثانيا : أثر قدسية أرض بيت المقدس وما حوله.

لقد ترتب على كون أرض بيت المقدس مقدسة طاهرة : أنها لاتقبل شركاً ولا عدواناً ولا ظلمًا، ولا علواً في الارض، ولا يدخلها الدجال في آخر الزمان.

١ ـ أرض بيت المقدس لا تقبل شركاً ولا ظلمًا ولا عدواناً.

كان من أثر قدسية هذه الأرض خلو بيتها المشرف من الأصنام والأوثان في غالبية العصور والدهور، وهي لاتتحمل الظلم والعدوان ، ولم تمكن للأمم العاتية من العيش فيها، ولا الاستقرار عليها، ويقصر عمر الدول الظالمة فيها، وتنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد، ومن الأدلة على ذلك :

أ ـ قوله تعالى على لسان موسى ؛ «يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ»[١].

لقد رفضت تلك الأرض المقدسة دخول بني إسرائيل إليها، لما كان عليه معظم جنود موسى عليه السلام من شرك في العقيدة، وفساد في الفطرة، وخبث في الطوية.

فقد توجهوا لفتح بيت المقدس بعد أن صنعوا عجلاً من حلي نسائهم، ليعبدوه. قال تعالى في بيان فساد عقيدتهم : «وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ»[٢]، كما توجهوا لفتح تلك المدينة بعد أن فسدت طبائعهم، نتيجة ظلم الفراعنة لهم، حتى غدت فطرهم مطبوعة بطابع المهانة والذل والعبودية للبشر، ويدل على فساد طبيعتهم قولهم لنبي الله موسى عليه السلام : «إن فيها قوماً جبارينَ وإناً لن نَدْخلهَا حتى يْخرجوا منْها، فإن يخرجوا منها فإنا داخلون». وكانت نتيجة هذا

---

١) الآيتان ٢١، ٢٢ من سورة المائدة.

٢) الآية ١٤٨ من سورة الاعراف.

الانحراف في العقيدة والفساد في الفطرة : أن ارتدوا على أدبارهم، فانقلبوا خاسرين أذلاء في الدنيا، كما باءوا بغضب الله تعالى في الآخرة.

«إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ»[1].

جاء في تفسير المنار : «المعروف : أن الشعوب التي تنشأ في مهد الاستبداد وتساس بالظلم والاضطهاد ـ تفسد أخلاقها، وتذل نفوسها، ويذهب بأسها وتضرب عليها الذلة والمسكنة، وتألف الخضوع ، وتأنس المهانة، واذا طال عليها أمد الظلم تصير هذه الأخلاق موروثة ومكتسبة، حتى تكون كالغرائز الفطرية، والطبائع الخلقية، إذا أخرجت صاحبها من بيئتها ورفعت عن رقبته نيرها، ألفيته ينزع بطبعه إليها، ويتفلت منك ليتقحم فيها، وهذا شأن البشر في كل ما يألفونه، ويجرون عليه من خير وشر، وإيمان وكفر، وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا لهدايته وضلال الراسخين في الكفر من أمة الدعوة فقال : «مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، ويجعل يحجزهن، ويغلبنه فيتقحَّمْنَ فيها. فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تقحمون فيها» رواه الشيخان[2].

ب ـ قوله تعالى : «وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾»[3]

---

١) الآية ١٥٢ من سورة الاعراف.

٢) محمد رشيد رضا : تفسير المنار ـ دار المعرفة ببيروت ٦/٣٣٧.

٣) الايات من ٤ـ٨ من سورة الاسراء.

فقد أخبر الله تعالى عن بني إسرائيل : أنهم لما طغوا وبغوا سلط الله عليهم عدوهم، فاستباح بيضتهم وسلك خلال بيوتهم، وأذلهم وقهرهم جزاء وفاقاً، وما ربك بظلام للعبيد فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقاً من الأنبياء والعلماء.

قال ابن الاثير : «إنما السبب الكلي الذي أحدث هذه الأسباب الموجبة للانتقام من بني إسرائيل هو : معصية الله تعالى، ومخالفة أوامره، وكانت سنة الله تعالى في بني إسرائيل : أنه إذا ملَّك عليهم ملكاً أرسل معه نبياً يرشده ويهديه إلى أحكام التوراة، فلما كان قبل مسير بختنصر إليهم كثرت فيهم الأحداث والمعاصي، وكان الملك فيهم «يقو نيا بن يويا قيم» فبعث الله إليه «أرميا» فأقام فيهم يدعوهم إلى الله وينهاهم عن المعاصي، ويذكر لهم نعمة الله عليهم بإهلاك «سنحاريب» فلم يرعووا. فأمره الله أن يحذرهم عقوبته، وإنهم إن لم يراجعوا الطاعة سلط عليهم من يقتلهم، ويسبى ذراريهم، ويخرب مدينتهم، ويستعبدهم، ويأتيهم بجنود ينزع من قلوبهم الرأفة والرحمة، فلم يراجعوها، فأرسل الله إليه لأقيضن لهم فتنة تذر الحليم حيران، ويضل فيها رأي ذي الرأي، وحكمة الحكيم، ولأسلطن عليهم جباراً قاسياً عاتياً ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة، يتبعه عدد مثل سواد الليل، وعساكر مثل قطع السحاب، يهلك بني إسرائيل، وينتقم منهم، ويخرب بيت المقدس»[١]

هذه هي الوقعة الأولى، وأما الوقعة الثانية التي حدثت لبني إسرائيل فقد كانت بعد مقتل «بختنصر» وعودة بني إسرائيل إلى مدينة بيت المقدس، وبمجرد أن كثر عددهم واستقر لهم الوضع عادوا إلى المعاصي والعلو في الأرض، فقتلوا يحيى وزكريا عليهما السلام، فسلط الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له «خردوس» فاستباح بيضتهم واعمل فيهم القتل، وسبى ذراريهم ونساءهم، وخرب بلادهم.[٢]

ولم يقف الأمر عند هاتين الوقعتين، بل تعرض اليهود لعدة غزوات من الفرس والروم، وفي كل مرة يتشتت شملهم، وتتمزق وحدتهم، وتزول دولتهم، وذلك بسبب عودتهم إلى الفساد والعلو في الأرض «وإن عُدْتُم عُدْنا».

---

١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ١٤٨/١

٢) انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٢١/١٠.

جـ - وقد سجل التاريخ الهزائم والنكبات التي حلت بالدول التي تعاقبت على الأرض المقدسة عند تماديها في الظلم والعدوان، فقد تعرض الفرس الذين حكموا فلسطين في القرن الأول قبل الميلاد إلى أشنع هزيمة على يد الرومان. وقد كانت هذه الحقيقة واضحةً جليةً. لدى رجال الدين النصراني الذين خلفوا الفرس، واتخذوها مادة لهم لتذكير الناس بها كلما تعرضت تلك المدينة إلى إعتداء خارجي، أو حاد أهلها عن المنهج الصحيح. فحينما وصل كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى «هرقل» وهو في القدس وعظ النصارى فيما كان قد بالغوا في إلقاء القمامة على الصخرة حتى وصلت إلى محراب داود، وقال لهم: «إنكم لخليق أن تقتلوا على هذه الكناسة مما امتهنتم هذا المسجد كما قتلت بنو اسرائيل على دم يحيى بن زكريا»[1] ولما حاصر أبو عبيدة بيت المقدس وشدد في الحصار خرج إليه بطريرك بيت المقدس «صفرونيوس» فقال: «ماذا تريدون منا في هذه البلدة المقدسة ومن قصدها يوشك أن الله يغضب عليه ويهلكه»[2]، ولما سلم بيت المقدس إلى عمر بن الخطاب بكى، فقال له عمر رضى الله عنه: « لا تحزن هون عليك، فالدنيا دواليك، يوم لك، ويوم عليك، فقال: «صفرونيوس»: «أظننتني على ضياع الملك بكيت؟! والله ماهذا بكيت وإنما بكيت لما أيقنت أن دولتكم على الدهر باقية. ترق ولا تنقطع، فدولة الظلم ساعة، ودولة العدل إلى قيام الساعة، وكنت حسبتها دولة فاتحين تمر ثم تنقرض مع السنين»[3] وقال كعب الأحبار لعمر رضى الله عنه: «ياأمير المؤمنين إنه قد تنبأ على ما صنعت اليوم - فتح بيت المقدس - نبى منذ خمسمائة سنة. فقال: وكيف؟ فقال: إن الروم أغاروا على بني إسرائيل فأديلوا عليهم فدفنوه ثم أديلوا فلم يفرغوا له حتى أغارت عليهم فارس فبغوا على بني إسرائيل، ثم أديلت الروم عليهم إلى أن وُليت»[4].

لقد أصبحت هذه الحقيقة سنةً ماضية في الأمم والدول إلى يوم القيامة، فكل دولة تبغى وتفسد في الأرض عامة والمقدسة خاصة مصيرها إلى زوال - بإذن الله تعالى

١) ابن كثير: البداية والنهاية ٥٦/٧

٢) الواقدي: فتوح الشام.

٣) عبد الله التل: خطر اليهودية على الاسلام والمسيحية ص ١٢٩

٤) الطبري: تاريخ الامم والملوك ١٦١/٤.

- «وان عدتم عدنا» فلما تفرق المسلمون ، وانقسموا إلى دولتين : عباسية في بغداد، وفاطمية في القاهرة في القرن الخامس الهجري، وأصبحت كل دولة تعمل من أجل توسيع مساحة زعامتها في المنطقة الإسلامية حتى انعكس هذا الصراع على بقية الأقاليم الإسلامية وبخاصة بلاد الشام، سلط الله عليهم الصليبيين الذين اندفعوا كالموج المتلاطم إلى العالم الإسلامي فهزموا المسلمين، ونكلوا بهم، وأنشأوا إمارات صليبية في قلب العالم الإسلامي.

إن السبب الاكبر لنجاح الصليبيين لم يرجع فحسب إلى كثرة عددهم، وإلى ما تلقوه من مساعدات من الدولة البيزنطية ، بل يرجع أساسا إلى تفرق المسلمين وتفككهم من الناحيتين الدينية والسياسية، ففي الوقت الذي كانت فيه القوات الصليبية تشق طريقها نحو الشرق العربي الاسلامي اشتد النزاع بين الخلافتين، وذلك النزاع الذي يعود إلى الخلاف المذهبي - أي سنى وشيعي - ولقد كان هذا الحال معروفا جيدا من قبل الصليبيين، ولذلك كان توقيت الحملة الصليبية الأولى في ظروف سادها التفكك الإسلامي السياسي والديني.[1]

لقد أدت هذه الخلافات بين المسلمين إلى ضعف مواجهة التحديات الصليبية، فكان هناك أمير يحارب، وأمير يسالم، وأمير يهادن وآخر يسلم، وآخر يستغل الأوضاع التي يعاني منها أخوه، ليهاجم أرضه ويتوسع على حسابه.[2]

ولما طغى الصليبيون وبغو في الأرض سلط الله عليهم القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي، فاستباح بيضتهم، ودمر إماراتهم، وحرر المسجد الأقصى من قبضتهم.

ومن المعلوم أن هذا الانتصار الباهر لم يتحقق إلا بعد أن قام صلاح الدين بجهد مضنٍ، وعمل متواصل في سبيل توحيد الصف الإسلامي، وتطهير تصورات المسلمين ومعتقداتهم مما علق بها من مفاهيم خاطئة، وشعارات زائفة، وقناعات منحرفة.

وهكذا دواليك فإن الله لاينصر الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة، ويسلط عليها

---

١) آرنست باركر - الحروب الصليبية ص ٣٢ - ٣٣.

٢) كمال الاسطل : مستقبل اسرائيل بين الاستئصال والتذويب - دار الموقف العربي - القاهرة - ص ١٣١.

الظالمين، إلى أن ترجع عن غيها وظلمها، قال تعالى : «وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ»[1] أي نسلط بعضهم على بعض كما قال ابن زيد.[2]

وقد عاد اليهود في هذا العصر إلى فلسطين أرض بيت المقدس، وأقاموا عليها دولتهم، وأسسوا فيها حضارتهم ، واتخذوها مركزا لتجميع بني جنسهم، ووكرا لتدبير دسائسهم ومؤامراتهم ضد الانسانية عامة والمسلمين خاصة، كما اتخذوها منطلقا لاعتداءاتهم الغاشمة على كل من يعارض سياستهم العدوانية، أو يقف في طريق مخططاتهم التدميرية، فقتلوا النفوس البريئة ويتموا الأطفال، وسجنوا النساء، وهدموا البيوت، واغتصبوا الأرضين وأحرقوا المسجد الاقصى ، ودنسوا المسجد الإبراهيمي في الخليل، وحولوا المساجد إلى حانات للخمور، ونواد ليلية تمارس فيها الفاحشة بجميع صورها وأشكالها، وعمدوا إلى إزالة الآثار الاسلامية التي تتزين بها مدينة القدس، كالمدارس التاريخية، والزوايا والتكايا والأحياء الإسلامية القديمة كحي المغاربة، والمقابر الإسلامية التي تضم أجساد الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين، وهم ماضون في مخطط هدم المسجد الأقصى وإزالته من أرض القدس، ويؤيد ذلك تلك المحاولات الصهيونية لتدمير المسجد الأقصى وهي :

- في يوم الخميس ١٩٦٩/٨/٢١ كانت المحاولة الأولى لتدمير المسجد الأقصى، فقد قام شاب ـ زعموا أنه مسيحي أسترالي مجنون ـ بإضرام النار في المسجد الأقصى المبارك ، فاشتعلت فيه النيران وارتفعت أعمدة الدخان إلى مئات الأقدام، وقد أسفرت هذه الجريمة عن إحراق منبر صلاح الدين بأكمله، وهو المنبر الذي صنع في حلب أيام نور الدين محمود، ليقدمه هدية إلى المسجد الأقصى الذي كان الصليبيون قد حولوه إلى كنيسة ، وكذلك إحراق السطح الشرقي الجنوبي للمسجد . . وقد اكتفت سلطات الاحتلال باعتقال المجرم «دينيس روهان» ومحاكمته حيت ادعت بأنه مجنون، وأطلقت سراحه، فسافر إلى الخارج، ثم عاد بعدها للاستقرار في فلسطين المحتلة.

---

١) آية ١٢٩ من سورة الانعام

٢) ابن الجوزي : زاد المسير ١٢٤/٣

- ومن الأدلة على تواطؤ سلطات الاحتلال لحرق المسجد الاقصى أيضا : قطع المياه عن الحرم فور ظهور الحريق، وتقارير المهندسين أكدت أن الحريق نشب في أكثر من موضع ، وأن شخصا واحدا لم يكن قادرا على القيام بهذا العمل بمفرده ، وعدم السماح لسيارات الإطفاء من بلدية القدس، وقد بقي الحريق مشتعلا إلى أن جاءت سيارات الإطفاء من رام الله والخليل.[١]

- وفي مايو ـ أيار ـ **١٩٨٠** قام «كاهانا» بمحاولة تفجير المسجد الاقصى بحجة الرد على عملية «الدبوية» التي نفذها رجال المقاومة في الخليل، وقد عثرت قوات الأمن صدفة على مخزن كبير للمتفجرات على سطح إحدى المدارس الدينية اليهودية في **١١/٥/١٩٨٠م** واعتقل الحاخام «كاهانا» وعدد من اتباعه بتهمة سرقة أسلحة من مستودعات الجيش والإعداد لنسف أماكن مقدسة إسلامية.

- وفي ٨ إبريل ـ نيسان ـ **١٩٨٢م** وضع اليهود قنبلة موقوتة عند بوابة الأقصى وإلى جانبها رسائل تهديد إلى مدير الأوقاف الإسلامية في القدس تحمل توقيع لجنة «أمناء جبل البيت». وحركة «كاخ» التي يتزعمها الحاخام «كاهانا» إضافة إلى توقيع مايسمى بروابط القرى العميلة لليهود. وتطالب التهديدات بالتوقف فوراً عن منع اليهود من الدخول إلى الأقصى للصلاة فيه، وفي حالة عدم الإذعان فإن النتيجة ستكون قاسية : وهي تفجير أقصاكم تفجيرا كاملا، والصخرة والساحات المجاورة وفي أوقات الصلاة، لقتل أكبر عدد منكم.

- وفي **١٠** ابريل ـ نيسان **١٩٨٢** حاولت مجموعة من أتباع «كاهانا» ولجنة أمناء جبل البيت الدخول إلى الأقصى فتصدى لهم المسلمون، وفي هذه الأثناء قام جندي إسرائيلي يدعي «إيلين جوتمان» باقتحام الحرم وهو يطلق النار مما أدى إلى قتل اثنين من حراس المسجد، وفي الوقت نفسه كان عدد كبير من الجنود الاسرائيليين يقتحمون ساحات الأقصى ويطلقون النار على المسلمين مما أدى إلى إصابة (**١٢٠**) مسلم بجروح، هذا، بالإضافة إلى الأضرار المادية التي تعرض لها الأقصى.

---

١) بتصرف من مقال مؤامرة على الاقصى للشيخ سعد الدين العلمي مفتى القدس ـ مجلة الامة القطرية عدد **٥٥** سنة ١٤٠٥ / ١٩٨٥ ص **٥٥**.

- وفي ليلة ٢١ مارس - آذار ١٩٨٣ جرت محاولة يهودية عبر النفق السري الذي كشفت عنه الحفريات الجنوبية للوصول إلى ساحات المسجد الأقصى، لاقامة نواة استيطانية ومركز يهودي مسلح داخل الحرم القدسي.
- وفي ليلة ٢٧ يناير - كانون الثاني - ١٩٨٤م قامت مجموعة مسلحة - يهودية، لاقتحام الحرم من الناحية الشرقية بالقرب من باب الرحمة، إلا أن حراس المسجد إكتشفوا أمرهم قبل أن يتمكنوا من الصعود، ففروا تاركين وراءهم قنابل ومتفجرات وأمتعة.[١]

هذه المحاولات لم تكن مجرد أعمال فردية ولا رغبات ذاتية، وإنما هي أعمال منظمة تشرف عليها الدولة إشرافا كاملا، وتوجهها توجيها تاماً عبر رؤساء الأحزاب اليهودية التي يجمعها هدف واحد، وهو العمل على تحقيق الأهداف الصهيونية في المنطقة، ففي مايو - أيار - سنة ١٩٧٧م وعد «بيغن» رئيس وزراء دولة العدو سابقا المتدينين بأن يحقق لهم إقامة الهيكل الثالث فقال: «إن الحكومة الاسرائيلية تختبيء وراء الحركات الدينية المتطرفة لتحقيق هدفها في نسف قبة الصخرة والمسجد الآقصى، وبناء الهيكل الثالث على أنقاضهما، وأن العمليات التي تجري بهذا الخصوص يجري ترتيبها بمعرفة الحكومة، من أجل إنضاج هذا المخطط»[٢].

ولم تكن هذه التصريحات الصادرة عن «بيغن» مجرد برنامج خاص بحكومته، وإنما هي إستراتيجية عامة يتناقلها جيل عن جيل، ويصرح بها غالبية زعماء يهود، ومن تصريحاتهم في ذلك.

جاء في مذكرات هرتزل «عندما أتذكرك في الأيام المقبلة ياأورشليم لن يكون ذلك بسرور، إن الرواسب العفنة لألفي سنة من اللاإنسانية وعدم التسامح والقذارة تقبع في الأزقة ذات الرائحة الكريهة، فإذا حصلنا يوماً على القدس وكنت لاأزال قادراً على القيام بأي شيء بنشاط في الوقت الذي نحصل فيه عليها - فإن أول ما سوف أبدأ به تنظيفها تنظيفا كاملاً».

«سوف أزيل كل شيء ليس مقدساً، وأنقل بيوت العمال إلى خارج المدينة وأخلي

---

١) المرجع السابق.
٢) نفسه

أوكار الدعارة، وأهدمها، وأحرق الآثار التي مرت عليها قرون، وأنقل الأسواق إلى مكان آخر»[1]

جاء في دائرة المعارف اليهودية المطبوعة باللغة الانجليزية تحت كلمة الصهيونية: «إن اليهود يبغون أن يجمعوا أمرهم ويأتوا إلى القدس، ويتغلبوا على قوة الأعداء ويعيدوا العبادة إلى الهيكل مكان المسجد الأقصى، ويقيموا ملكهم هناك».[2]

ولم تكد الصهيونية العالمية تحصل على وعد بلفور في نوفمبر سنة **١٩١٧** بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين حتى تقدم رئيس الحاخامات اليهودي ومعه ممثل الحركة الصهيونية فيها بطلب رسمي إلى حكومة الانتداب البريطاني، للاستيلاء على منطقة المسجد الأقصى لهدمه وبناء معبد سليمان مكانه.[3]

وفي عام **١٩٢٩**م قال «كلونز» رئيس جمعية الدفاع عن حائط المبكى في تصريح نشرته صحيفة (بلستاين ويك) اليهودية: إن المسجد الأقصى القائم على قدس الأقداس في الهيكل إنما هو لليهود.

وفي **٢٠/١١/١٩٣٠**م بعث رئيس حاخامي رومانيا «روزنباخ» كتاباً إلى رئيس المجلس الشرعي الاسلامي ومفتي فلسطين الأكبر يطلب فيه بتسليم المسجد الأقصى لليهود ليقيموا فيه شعائرهم الدينية، الأمر الذي أثار ضجة كبرى في فلسطين.[4]

وفي نفس العام تقريباً صرح «الفرد منه» الوزير اليهودي البريطاني حينذاك: أن اليوم الذي سيعاد فيه بناء الهيكل أصبح قريبا جداً، وإنني أكرس ما بقى من حياتي لبناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى»[5]

وفي عام **١٩٦٧**م أعلن دافيد بن غوريون: أنه لامعنى لاسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون انتزاع موقع الهيكل من العرب.[6].

---

١) نقلا عن مقال القدس في ضوء العقيدة الاسلامية لمفتي الاردن الشيخ عز الدين التميمي ـ مجلة البلاغ عدد **٨١٢** ص ٤٦.

٢) حسن فتح الباب: المؤامرات الصهيونية من خيبر إلى القدس ص ٦٣.

٣) المرجع السابق

٤) نفســه

٥) نفســه

٦) محمد أديب العامري: من تاريخنا ص ١٧٦.

وفي حرب حزيران ١٩٦٧م أسرع «شلومو غورين» حاخام الجيش الإسرائيلي إلى الحرم الشريف حاملاً التوراة، وأقام مع عدد كبير صلاة الشكر وأخذ يدعو إلى الإكثار من زيادة ما يسميه «جبل الرب» وأخذ يحثهم على العمل على الإسراع في إعادة بناء الهيكل الثالث.[١]

ويدعى اليهود: أن المسجد الأقصى وفيه قبة الصخرة المشرفة - يقومان في المكان الذي كان عليه هيكل سليمان.

وفي عيد الغفران عام ١٩٦٨م قال المؤرخ اليهودي «إسرائيل الدادا» «نحن نقف الآن حيث وقف داود حين حرر القدس، ومن ذلك الوقت مضى جيل واحد قبل أن يقوم سليمان ببناء الهيكل، وهذا يعني أن اليهود ينوون إعادة بناء الهيكل خلال جيل واحد». ولما سئل المؤرخ الإسرائيلي ماذا سيكون مصير مسجد الصخرة في حالة الإقدام على بناء الهيكل؟ اجاب قائلا: إن المسألة على كل حال مدار بحث ثم أردف قائلاً: لعل زلزالا يقع فيدمر مسجد المسلمين».[٢]

هذه الاعتداءات المتكررة على أهلنا في فلسطين المحتلة وخارجها، وعلى المقدسات الإسلامية، وفي مقدمتها المسجد الأقصى والصخرة المشرفة والمسجد الإبراهيمي - ستكون سبباً في تدمير يهود، وإزالة دولتهم من الوجود كما أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تقاتلكم اليهود فَتُسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم، يا عبدالله، هذا يهودي ورائي فاقتله»[٣] وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبيء اليهودي وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يامسلم، يا عبدالله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»[٤].

---

١) نقلاً عن مقال القدس في ضوء العقيدة الاسلامية للشيخ عز الدين التميمي - مجلة البلاغ الكويتية عدد ٨١٣ ص ٤٠.

٢) نفس المرجع.

٣) صحيح مسلم ٤/٢٢٣٩، سنن الترمذي ٤/٥٠٨، مسند الامام أحمد ٢/١٢٢، ١٤٩.

٤) صحيح مسلم ٤/٢٢٣٩، مسند الامام أحمد ٢/٤١٧.

الغرقد نوع من الشجر معروف في بيت المقدس، وقال أبو حنيفة الدينوري : إذا عظمت العوسجة صارت غرقدة، والحديث يدل : على أن المعركة الفاصلة بين اليهود والمسلمين ستقع إن شاء الله تعالى، فيجب على المسلم أن يهيء نفسه لذلك اليوم الفاصل بين اليهودية والاسلام، والله وحدة يعلم متى يكون ذلك اليوم. ومن يدري لعل الله قدر أن يساق اليهود بجملتهم إلى أرض فلسطين، فقد هاجر إليها يهود روسيا والدول الغربية والعربية ويهود الفلاشا ويهود إيران، لتكون هذه الأرض المقدسة مقبرتهم الأخيرة التي لن تقوم لهم بعدها قائمة ولن يبقى لهم بعد كيان ودولة.

وفي الحديث : إشارة الى أن المستقبل لهذا الدين ، وأن الغلبة له في النهاية مهما حيكت له الدسائس، وتآمر عليه الأعداء.

«ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله. ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون».

٢ ـ إن الدجال لا يدخل بيت المقدس.

من أمارات الساعة الكبرى ظهور الدجال ـ كما سماه الرسول صلى الله عليه وسلم ـ لكثرة تدجيله وكذبه، يدعي الألوهية، ويجري الله على يديه بعض مقدوراته كإحياء الموتى، وإنزال المطر، وإنبات النبات، ليمتحن الناس ويختبرهم في آخر الزمان فيفتتن البعض به، ويثبت الله الذين آمنوا فلا ينخدعون بباطله وضلاله.

ويظهر الدجال على كل الأرض ماعدا الكعبة، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، والمسجد الاقصى، ومسجد الطور، كما ورد في الأحاديث.

- روى أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الدجال فقال : وأنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس، وأنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس قال : فيهزمه الله وجنوده حتى إن جذم ـ أصل ـ الحائط وأصل الشجره ينادي يامؤمن، هذا كافر يستتر بي تعال فاقتله . . » أخرجه

الحاكم في مستدركه في كتاب صلاة الكسوف وقال : صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.[1]

- وعن جناده بن أبي أمية قال : أتينا رجلاً من الأنصار من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فدخلنا عليه، فقلنا : حدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تحدثنا ما سمعت من الناس فشددنا عليه، فقال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا فقال : أنذركم المسيح وهو ممسوح العين ـ أحسبه قال العين اليسرى ـ تسير معه جبال الخبز وأنهار الماء، علامته : يمكث في الأرض أربعين صباحا، يبلغ سلطانه كل منهل، لايأتي أربعة مساجد : الكعبة، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، والمسجد الأقصى، والطور، ومهما كان من ذلك فاعلموا أن الله عز وجل ليس بأعور. قال ابن عون : أحسبه قال يسلط على رجل فيقتله، ثم يحييه ولايسلط على غيره» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.[2]

---

١) الزركش : إعلام الساجد ص٢٩٠، وقال ضياء الدين المقدسي في فضائل بيت المقدس ص٦٢ : «رواه الإمام أحمد في مسنده بطوله بنحوه عن أبي كامل عن الزهير عن الاسود، والترمذي وابن ماجه والنسائي طرفاً منه وقال الترمذي : حديث حسن صحيح.

٢) الهيثمي : مجمع الزوائد ٣٤٣/٧، ضياء الدين المقدسي : فضائل بيت المقدس ص٦٣.

المبحث الثالث

إسلامية أرض بيت المقدس وما حوله

إن الله تعالى بسابق علمه، وبالغ حكمته، وعزة قدرته، إذا أراد أمراً هيأ له أسبابه، وقد وصف نفسه عز وجل بقوله: «قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ»[1].

ولما أراد جلَّ شأنه، وعز سلطانه نقل الملك عن الروم إلى المسلمين في بلاد الشام عامة وبيت المقدس خاصة، جعل قلوب المسلمين تحن شوقا إليه عن طريق اتخاذه قبلة لهم، وجعله معراج نبيهم إلى السماوات العلى، وأوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالإكثار من ذكره؛ حتى أصبح يمثل صورة حية في أذهانهم، ويصور لنا الواقدي ذلك الحنين بقوله: «ولقد بلغني أن المسلمين باتوا تلك الليلة - أي ليلة التجمع حول بيت المقدس - كأنهم ينتظرون قادماً يقدم عليهم من شدة فرحهم بقتال أهل بيت المقدس، وكل أمير يريد أن يفتح على يديه، فيتمتع بالصلاة فيه، والنظر إلى آثار الأنبياء، قال: فلما أضاء الفجر أذن، وصلت الناس صلاة الفجر، قال: فقرأ يزيد لأصحابه «يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ .. الآية»[2] فيقال: إن الأمراء أجرى الله على ألسنتهم في تلك الصلاة أن قرأوا هذه الآية كأنهم على ميعاد واحد»[3]. كما ألقى الله تعالى في قلوب الروم الذين كانوا يحكمون بلاد الشام الرَّوْعَ والرهبة من المسلمين، وكان أول ذلك الروع والرهبة: رؤيا رآها هرقل الروم في منامه فأصبح وهو مهموم، يقلب طرفه إلى السماء، فقالت له بطارقته: أيها الملك لقد أصبحت مهموماً، فقال أجل. فقالوا: وما ذاك؟ فقال: «أُريت في هذه

---

١) آية ٢٦ من سورة آل عمران.

٢) آية ٢١ من سورة المائدة.

٣) الواقدي: فتوح الشام - المكتبة الاهلية ببيروت ط١ ١٩٦٦م ١/٢١٥.

الليلة أن ملكَ الخِتان ظاهر» فقالوا : والله مانعلم أمة من الأمم تختتن إلا اليهود، وهم تحت يديك وفي سلطانك، فإن كان قد وقع ذلك في نفسك فابعث في مملكتك كلها ، فلا يبقى يهودي إلا ضربت عنقه، فتستريح من هذا الهم، فإنهم في ذلك من رأيهم يديرونه بينهم إذ أتاهم رسول صاحب بصرى برجل من العرب قد وقع إليهم، فقـال : أيها الملك إن هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والإبل، يحدثك عن حدث كان ببلاده فاسأله عنه، فلما انتهى إليه قال لترجمانه :

سَله ما هذا الخبر الذي كان ببلاده ؟ فسأله فقال : هو رجل من العرب من قريش، خرج يزعم أنـه نبي، وقد اتبعه أقوام، وخالفه آخرون، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن ، فخرجت من بلادي وهم على ذلك. فلما أخبره الخبر قال : جردوه فإذا هو مختتن، فقال : هذا والله الذي قد رأيت، لاماتقولون، فأعطه ثوبه، ثم إنه دعا صاحب شرطته فقال له : قلب لي الشام ظهراً لبطن حتى تأتيني برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه. قال أبو سفيان : فوالله إني وأصحابي لبغزَّة إذ هجم علينا، فسألنا ممن أنتم ؟ فأخبرناه فساقنا إليه جميعا.[1] فسأل هرقل أبا سفيان عدة أسئلة ليتحقق من صفة النبي الذي سيرسل في زمنه، فلما تحقق من تلك الصفات قال : «ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه، وليبلغنّ مُلكه ما تحت قدمي»[2] وفي رواية البخاري «لتجشمت لُقيَّه»[3]، والمعنى : لتكلفت الوصول إليه وارتكبت المشقة في ذلك، ولكن أخاف أن اقتطع دونه. قال النووي : ولا عذر له في هذا، لأنه قد عرف صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما شح في الملك، ورغب في الرياسة فآثرها على الإسلام ، وقد جاء ذلك مصرحاً به في صحيح البخاري ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي ، وما زالت عنه الرياسة، ونسأل الله توفيقه.[4]

ولم يقتصر الأمر في تعبئة نفوس المؤمنين وتخويف الروم على مجرد إلقاء المواعظ، وسرد خصائص بيت المقدس ، ولا إرسال الرسل والإنذار النظري ، بل توج كل ذلك

---

١) ابن كثيرة : البداية والنهاية ـ مكتبة المعارف ببيروت ط٣ ١٩٨٠م ٤/ ٢٦٢-٢٦٣.

٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ١٠٧

٣) صحيح البخاري ٤/٤

٤) النووي : شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٠٧

بالعمل الجاد والتحرك الفعلي تجاه بلاد الشام، وكانت أول غزوة لتلك البلاد وهي غزوة مؤتة[1] بقيادة الصحابي المعروف زيد بن حارثة : فقد كرست هذه الغزوة في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم أبعاد هذا الدين وأهدافه، فهو لا يقف عند حدود الجزيرة العربية، وإنما يتخطاها ليدعو كافة الشعوب، للدخول في هذا الدين، وزودتهم بفنون الحروب الكبيرة التي كانوا يجهلون وسائلها وأدواتها. وفي المقابل ألقت هذه الغزوة في قلوب الروم الخوف والرهبة، وعرفتهم بجدية المسلمين اذا ما هددوا بشيء، وبحقيقة مواقفهم الإيجابية : فهم لايسكتون عن الحق، ولا يقبلون الضيم، ولا يخضعون لظالم متكبر.

وهم يحبون الموت أشد من حب الروم للحياة، فقد كان عدد المشركين في هذه الغزوة حوالي مائتي ألف مقاتل، في حين أن عدد المسلمين لم يتجاوز ثلاثة آلاف، ولكن الإيمان المستقر في قلوب هؤلاء الرجال جعلهم لا يبالون بكثرة الأعداء، فحمل زيد بن حارثة الراية، وجعل يقاتل بشجاعة واستماتة، حتى شاط في ر ماح القوم - أي حتى تمزق وتقطع بسبب كثرة ما أصابه من طعنات، فتناول الراية من يده جعفر بن أبي طالب وكان في الثالثة والثلاثين من عمره، فأخذ يقاتل قتال الأبطال المغاوير، وعندما أحاط به المشركون وهو يقاتلهم على فرسه ترجل عنها، واندفع على قدميه وسط الصفوف يهوى بسيفه على رؤوس أعدائه حتى سقط شهيداً . روى البخاري عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : «كنت في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى، ووجدنا في جسده بضعاً وتسعين ما بين طعنة برمح ورمية بسهم»[2] وفي رواية «ما وجدنا منها شيئاً في ظهره»[3] ثم أخذ الراية من بعد جعفر عبد الله بن رواحة، فتقدم بها وهو يتردد بعض التردد، ولكنه بعد قليل تشجع، وأخذ يقاتل القوم وهو يقول :

يانفسُ الا تُقتلي تموتي ... هذا حِمامُ الموتِ قد صُليت
وما تمنيت فقد أُعطيت ... إن تفعلي فِعْلَهما هديت

---

١) سميت بالغزوة وإن لم يحضرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لكثرة المحاربين فيها حيث بلغوا ثلاثة آلاف جندي.

٢) صحيح البخاري ٥/٨٦ - ٨٧.

٣) نفس المرجع.

وقاتل في سبيل الله حتى استشهد.

ثم أخذ الراية من بعد عبدالله ثابت بن أرقم، فصاح في الناس يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم . قالوا : أنت. قال ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية شرع يقاتل الروم بمهارة واحتيال، حتى اندقت في يده تسعة أسياف ، وما ثبت في يده إلا صفيحة يمانيه.

وفي السنة التاسعة للهجرة أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم عزمه على الخروج إلى تبوك، وهي تقع في أقصى شمال الجزيرة العربية على حدود الشام، وكان يهدف إلى تأمين قاعدة متقدمة للمسلمين ، للانطلاق منها إلى الشام، فجلس في تبوك مدة : يبايع بعض القبائل العربية على الإسلام، ويعقد المعاهدات مع القبائل الأخرى على الجزية، إلى أن تم خضوع تلك المنطقة لحكم الإسلام. ولما رجع إلى المدينة المنورة جهز جيشا تحت قيادة أسامة بن زيد. وأمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء، والداروم من أرض فلسطين، وقد كان في هذا الجيش جميع المهاجرين والأنصار، ومن كان حول المدينة من المسلمين، لكن الله تعالى قد شاء أن يُقبض رسوله صلى الله عليه وسلم قبل ابتداء المسير إلى الشام، فتوقف الجيش إلى أن تولى أبو بكر الصديق رضى الله عنه خلافة المسلمين، فأمضاه كما أوصى النبي صلى الله عليه وسلم.

منشأ ارتباط أرض بيت المقدس بالإسلام

يرجع ارتباط أرض فلسطين بالإسلام إلى اتخاذ الرسول صلى الله عليه وسلم بيت المقدس قبلة له في الصلاة منذ البعثة، وإلى كون تلك الأرض موضعاً لمعراجه صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلى، وإلى الفتح الإسلامي لبيت المقدس وما حوله في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

١ ـ بيت المقدس قبلة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ البعثة.

منذ أن بُعث النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتجه في صلاته إلى بيت المقدس،

واستمر على ذلك طيلة المدة التي مكثها في مكة المكرمة وكان يجمع بين القبلتين: بيت المقدس، والكعبة المشرفة فيصلي بين الركنين في جهة الجنوب مستقبلاً للشمال، ولما هاجر إلى المدينة المنورة تعذر الجمع بين القبلتين، فأُمر بالتوجه إلى بيت المقدس، واستمر على ذلك ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، إلى أن نزل الأمر الإلهي بالتحول إلى الكعبة ، قبلة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

أخرج البخارى في صحيحه، عن البراء بن عازب، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل على أجداده أو أخواله من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت»[1] وأخرج الإمام احمد والطبراني عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة نحو بيت المقدس، والكعبة بين يديه، وبعدما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً ، ثم صرف إلى الكعبة»[2].

وأخرج الإمام احمد عن عبيدالله بن كعب قال : خرجنا في حُجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور كبيرنا وسيدنا، فلما توجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء لنا : إني قد رأيت والله رأياً، وإني والله ما أدري توافقوني عليه أم لا ؟ قلنا له : وما ذاك ؟ قال : قد رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر ـ يعني الكعبة ـ وأن أصلي إليها. فقال : والله ما بلغنا أن نبينا يصلي إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه. فقال : إني أصلي إليها، قال : فقلنا له : لكنا لانفعل، فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام، وصلى إلى الكعبة حتى قدمنا مكة . . فسألنا النبي صلى الله عليهم وسلم ، فقال للبراء : «لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها» فرجع البراء إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلى إلى الشام.[3]

فقوله صلى الله عليه وسلم : «لقد كنت على قبلة . .» يدل على أن المسلمين كانوا يصلون بمكة إلى بيت المقدس، ويتخذونه قبلة لهم، وبهذا أصبح ذلك البيت

---

١) رواه البخاري في صحيحه ١/١٥.

٢) مسند الامام أحمد ١/٣٢٥، مجمع الزوائد للهيثمي ٢/١٢ وقال : رجاله رجال الصحيح.

٣) رواه الامام أحمد في مسنده ٤/٤٦١.

عَلَمًا من أعلام الإسلام، وشعيرة من شعائر هذا الدين، فلا يجوز للمسلمين التخلي عنه، ولا التقصير في حمايته وتطهيره من الأرجاس والأنجاس.

وحِرصُ النبي صلى الله عليه وسلم على الجمع بين القبلتين في مكة يدل على ربط بيت المقدس بالبيت الحرام ربطاً قوياً، فهما مكانان مباركان ومقدسان ويستحقان أن لا ينفصل أحدهما عن الآخر في القدسية. والتفريط في أحدهما تفريط في الآخر.

تحويل القبلة

بعد حوالي سبعة عشر شهرا من الهجرة نزل تحول القبلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يصلي الظهر، بعد أن صلى ركعتين، وذلك في مسجد بني سلمة، فسمي مسجد القبلتين[1]، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتشوف إلى استقبال الكعبة، ويدعو الله تعالى أن يحوله إلى قبلة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: «قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ»[2] وفي سبب محبته عليه السلام التوجه إلى البيت الحرام وترك التوجه إلى بيت المقدس وجوه.[3]

الأول ـ مخالفة اليهود حيث كانوا يقولون: يخالفنا محمد ثم يتبع قبلتنا، ولولا نحن لم يدر أين يستقبل.

الثاني ـ أن الكعبة كانت قبلة أبي الانبياء إبراهيم عليه السلام.

الثالث ـ أنه عليه السلام كان يرغب في تحويل القبلة استمالة للعرب، لدخولهم في الإسلام.

والرابع ـ أنه أراد أن يشعر الدنيا بأن التشريع الإلهي، والوحى السماوي قد انتقل من ولد إسحاق بن إبراهيم، إلى ولد إسماعيل بن إبراهيم.

---

١) ذكر النووي عن محمد بن حبيب الهاشمي: أنها حولت في الظهر يوم الثلاثاء نصف شعبان، كان صلى الله عليه وسلم في أصحابه فحانت صلاة الظهر في منازل بني سلمة، فصلى بهم ركعتين من الظهر في مسجد القبلتين الى القدس ثم أمر في الصلاة فاستدار واستدارت الصفوف خلفه فأتم الصلاة فسمى مسجد القبلتين.

٢) آية: ١٤٤ من سورة البقرة.

٣) انظر: ابن الجوزي: زاد المسير ١٥٦/١

٢ ـ أرض بيت المقدس أرض الإسراء والمعراج.

يعود ارتباط أرض بيت المقدس بالإسلام إلى حادثة الإسراء والمعراج الثابتة بالقرآن والسنة والإجماع : « سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ »[1]، وهى حادثة فريدة أكرم الله بها نبيه في وقت اشتد فيه أذى المشركين بمكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسرى به من مكة إلى بيت المقدس، وكان أن عرج به من صخرة بيت المقدس إلى السماوات العلى.

وإن دلت هذه الحادثة على شيء فهى تدل على ما يأتي :

أ ـ ارتباط المسجد الأقصى بالمسجد الحرام.

لقد ربطت حادثة الإسراء والمعراج بين المسجدين ربطاً روحياً قبل أن تتصل حدود أرضيهما ببضعة عشر عاما، فانتقل النبي صلى الله عليه وسلم بروحه وجسده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وصلى فيه الأنبياء والمرسلين، حيث أحياهم الله وجمعهم له، وذلك ليعلن للناس جميعا أن المسجد الأقصى أصبح مسجدا للمسلمين، مرتبطا بالمسجد الحرام في رباط قدسي دائم. يقول د. مصطفى السباعي : «أما صلة المسجد الحرام بالمسجد الأقصى فهو صلة الشرف بالشرف : فسكان مكة هم أشرف أهل الأرض، لأنهم سكان الكعبة وسدنتها من لدن أن بناها إبراهيم عليه السلام، والمسجد الاقصى هو مهبط الرسالات، وملتقى النبوات في فترات طويلة من التاريخ، فيجب أن تنطلق مواكب التحرير من هاتين البقعتين، وتسير كتائب الإيمان من هذين المسجدين ليهتدي العالم الضال، والإنسانية التائهة بنور الايمان، ورسالة الإسلام»[2].

---

١) آية ١ من سورة الاسراء.

٢) نقلاً عن كتاب الاسلام والقضية الفلسطينية لعبدالله علوان ص ١٥

ب ـ وجوب تحرير أرض المسجد الأقصى .

لقد جاءت هذه الحادثة في وقت اشتداد المحن والشدائد، وفي وقت كانت فيه الحركة الإسلامية دعوة سرية، فكأن الله أراد أن يلقى في روع المؤمنين ضرورة تحرير أرض المسجد الأقصى، وعدم التغافل عنه مهما كانت الضغوط على المسلمين في بقاعهم الأخرى، فهي أمانة عظيمة في أعناق المسلمين جميعاً. وهي جزء لايتجزأ من أرض الإسلام، فلا يجوز التنازل عن شبر من أرضها، ويجب على المسلمين : أن يدافعوا بكل ما يملكون من قوة، وأن يعتبروا الدفاع عنها واجبا يحتمه الدين والعقيدة، لا مفر لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر من القيام به، إلى آخر مدى من القدرة والاستطاعة.[1]

٣ ـ فتح بيت المقدس وما حوله .

بعد أن تم فتح دمشق على يد الصحابي الجليل أبي عبيدة عامر بن الجراح ـ استشار قادة الجيش في الجهة التي يتجهون إليها، فأشاروا عليه باستشارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فكتب إليه يستشيره، فجاء الرد بالتوجه إلى بيت المقدس. ولما علم المسلمون بذلك فرحوا فرحاً شديداً لشدة شوقهم إلى بيت المقدس. واستدعى أبو عبيدة سبعة من قادة المسلمين وهم : خالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة، والمرقال بن هاشم بن عتبة، والمسيب بن نجية الفزاري، وقيس بن هبيرة، وعروة بن مهلهل، ثم عقد لكل منهم راية ضاماً إليه خمسة آلاف مقاتل، وأمرهم بالمسير إلى بيت المقدس ، ولما وصل أولئك القادة إلى أسوار بيت المقدس بدأ القتال بين الفريقين، واستمرت المعركة عشرة أيام، وفي اليوم الحادي عشر قدم أبو عبيدة عامر بن الجراح ، ومعه فرسان المسلمين وأبطال الموحدين، فرفع المسلمين أصواتهم بالتهليل والتكبير، ووقع الرعب في قلوب الروم، وذهبوا إلى البطريرك فأخبروه بمقدم أمير القوم ، فقال : «وحق الإنجيل إن كان قدم أميرهم فقد دنا هلاككم والسلام. قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : لأنا نجد في العلم الذي ورثناه

١) انظر : مقال ذكرى الاسراء والمعراج في تاريخنا للدكتور مصطفى السباعي ضمن كتاب احكام الصيام ص ١٠٢

عن المتقدمين : أن الذي يفتح الأرض في الطول والعرض هو الرجل الأسمر الأحور المسمى بعمر، صاحب نبيهم محمد، فإن كان قدم فلا سبيل لقتالة، ولاطاقة لكم بنزاله ، ولابد لي أن أشرف عليه، وأنظر إليه، وإلى صورته فإن كان إياه عمدت إلى مصالحته، وأجبته إلى ما يريد، وإن كان غيره فلا نسلم إليه قط، لأن مدينتنا لاتفتح إلا على يد من ذكرته لكم والسلام»[1] فوثب البطريرك ومن معه من القساوسة والرهبان، ليتحققوا من شخصية الأمير، فعرفوا أنه ليس عمر وقال لبني قومه : «ليس هو هذا الرجل فأبشروا وقاتلوا عن بلدكم ودينكم»[2] وأقبلوا يقاتلون القتال الشديد، واستمر النزال والحصار لهذه المدينة أربعة أشهر، وقد أظهر المسلمون بطولة وشجاعة نادرتين فقاتلوا قتالاً شديداً وصبروا على البرد القارس والثلج والمطر، ولما رأى أهل بيت المقدس شدة الحصار وإحكامه وشجاعة المسلمين وصبرهم ، طلبوا من البطريرك أن يظهر للمسلمين ويعرف ما يريدون، فظهر البطريك، وقام له أبو عبيدة وجماعة من المسلمين ، فقال لهم : «ماذا تريدون منا في هذه البلدة المقدسة ، ومن قصدها يوشك أن يغضب الله عليه ويهلكه».

فقال أبو عبيدة : «نعم إنها شريفة، وفيها أُسري بنبينا إلى السماء، ودنا ـ كقاب قوسين أو أدنى ، وإنها معدن الأنبياء وقبورهم فيها، ونحن أحق منكم بها، ولا نزال عليها، أو يملكنا الله إياها، كما ملكنا غيرها».

قال البطريرك : فما الذي تريدون منا ؟

قال أبو عبيدة : «خصلة من ثلاث . . . »[3] أي إما الاسلام، وإما الصلح ، وإما القتال، فلما رأوا إصرار المسلمين على القتال وعزمهم الأكيد على فتح هذه المدينة أذعنوا للصلح وتسليم المدينة، ولكنهم اشترطوا ألا يسلموها إلا لشخص الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فوافقهم أبو عبيدة على ذلك، فصارت هدنة الى أن جاء عمر رضى الله عنه، وكتب مع أهل بيت المقدس كتاب الصلح الذي جاء فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من

---

١) الواقدي : فتوح الشام ـ المكتبة الاهلية ببيروت ط١ ١٩٦٦ ١ /٢١٦

٢) نفس المرجع.

٣) الواقدي : فتوح الشام ـ المكتبة الاهلية ببيروت ط١ ١٩٦٦م ١ /٢١٧-٢١٩ .

الأمـان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، **ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود**[1] ، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت ـ يعني اللصوص ـ فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لايؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهـد الله وذمـة رسـوله وذمة الخلفاء ، وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان.[2]

هكذا تم فتح مدينة بيت المقدس صلحاً على يد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبشرط أن تكون الأرض مملوكة للمسلمين، ويقر أهلها عليها بخراج معلوم، ويؤيد ذلك : ما ورد في كتاب الصلح أو العهدة العمرية : « أعطاهم يعني عمر رضي الله عنه ـ أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم . . وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن»، وما أقرَّ به بطريك القدس صفرونيوس من أحقية المسلمين بهذه الأرض، لأنه مكتوب عندهم في الكتب حيث قال : «لأنا نجد في العلم الذي ورثناه عن المتقدمين : أن الذي يفتح الأرض في الطول والعرض هو الرجل الأسمر الأحور المسمى بعمر صاحب نبيهم محمد، فإن كان قدم فلا سبيل لقتاله ولاطاقة لكم بنزاله».

---

١) هذا شرط البطريك صفرونيوس الذي سلم مدينة القدس للمسلمين، لأن النصارى قد حرموا عليهم العيش في المدينة المقدسة تخلصاً من مؤامراتهم ودسائسهم.

٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك ـ دار الفكر ببيروت ٤/ ١٥٩ـ١٦٠.

وقد ترتب على فتح بيت المقدس، فتح بقية المدن الفلسطينية، حيث أمّرَ عمر رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان على بيت المقدس، وأمره بفتح بقية المدن الفلسطينية التي لم تفتح بعد: كقيسارية، وغزة، فاستعان بأخيه معاوية وسيَّره إلى قيسارية، فنازل أهلها وقاتلهم قتالا شديدا حتى أنه قتل منهم مائة ألف[1]، وتم فتح هذه المدينة على يديه عنوة، وكذا غيرها. قال أبو عبيدة: «أرض الشام عنوة ـ أي فتحت عنوة ـ ما خلا مدنها فإنها فتحت صلحاً، إلا قيسارية افتتحت عنوة»[2].

حكم الأرض المفتوحة عنوة أو صلحاً عند فقهاء المسلمين

اتفقت كلمة فقهاء المسلمين على أن الأرض المفتوحة عنوة أو صلحاً تدخل في دار الإسلام، وتسري عليها أحكامها من وجوب الدفاع عنها والقتال دونها، ثم إن هذه الصفة لا تنفك عنها وإن استولى الأعداء بعد ذلك عليها، فيجب على المسلمين بذل كل ما يملكونه من جهد للذود عنها، وطرد الأعداء الغاصبين منها، وإقامة حكم الله فيها.

١ ـ دخول الأرض المفتوحة عنوة أو صلحا في دار الإسلام.

تدخل الأرض المفتوحة عنوة أو صلحاً في دار الإسلام بمجرد الفتح الإسلامي لها، سواء بقى أهلها فيها أو جلوا عنها، وتطبق عليها أحكام الإسلام، ويجب على المسلمين الدفاع عنها، والمحافظة عليها، ويؤيد ذلك ما ذكره فقهاء المسلمين. فقال الماوردي وأبو يعلى الفراء: «وتصير هذه الأرض ـ أي المفتوحة عنوة ـ دار إسلام سواء سكنها المسلمون أو أعيد إليها المشركون، لِملك المسلمين لها، ولا يجوز أن يستنزل عنها للمشركين لئلا تصير دار حرب»[3].

وقال الماوردي في الأرض المفتوحة صلحاً: على أن تكون الأرض

---

١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ـ دار الكتاب العربي ببيروت ٢/٣٤٦.

٢) نقلاً عن كتاب المغني لابن قدامة الحنبلي ٢/٧١٧.

٣) الماوردي: الأحكام السلطانية ص ١٣٦، الفراء: الأحكام السلطانية ص ١٤٦.

للمسلمين، ويقر أهلها عليها بجزية وخراج معلومين : «أن يصالحهم على أنَّ مِلك الأرض لنا ـ أي للمسلمين ـ فتصير بهذا الصلح وقفاً من دار الإسلام، ولايجوز بيعها ولا رهنها، ويكون الخراج أجرة لايسقط بإسلامهم، فيؤخذ خراجها إذا انتقلت إلى غيرهم من المسلمين»[1]

وبناء على هذا الحكم الذي قرره الفقهاء فإن أرض فلسطين التي فتح بعضها عنوة وبعضها صلحاً قد دخلت في دار الإسلام منذ ذلك الفتح، وطبقت عليها أحكام الإسلام، وأمَّر عليها عمر بن الخطاب يزيد بن أبي سفيان، وحافظ المسلمون على إسلاميتها، وبقوا يجبون من أهلها الخراج. روى أبو عبيد عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب الى عبدالله بن عوف ـ عامله على فلسطين ـ فيمن كانت في يده أرض بجزيتها من المسلمين، أن يقبض جزيتها، ثم يؤخذ منها زكاة ما بقى بعد الجزية. قال إبراهيم ابن أبي عبلة العقيلي ـ راوي الأثر : أنا ابتليت بذلك ومني أخذ.[2]

٢ ـ وجوب الدفاع عن دار الإسلام.

أوجب الإسلام على الإمام الذي يتولى شؤون الأمة الإسلامية الدفاع عن البلاد الإسلامية التي خضعت لحكم المسلمين، بإعداد الجيوش القوية، وشحن الثغور المتاخمة لبلاد الأعداء بالعدة المانعة، والقوة الدافعة لئلا يقع الاعتداء على بلاد المسلمين، وتنتهك الحرمات، وتسفك الدماء، ويهلك الحرث والنسل. قال الماوردي في بيان ذلك الواجب : «والذي يلزمه من الأمور العامة عشرة أشياء . . . الثالث : حماية البيضة، والذب عن الحريم، ليتصرف الناس في المعايش، وينتشروا في الأسفار آمنين من تغرير بنفس أو مال . . . والخامس : تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة، حتى لا تظفر الأعداء بغرة ينتهكون فيها محرما، أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد دماً»[3] وقال النووي : «أن يشحن الإمام الثغور بجماعة يكافئون من بإزائهم من الكفار، وينبغي أن يحتاط بإحكام الحصون وحفر الخنادق ونحوها»[4].

---

١) الماوردي : نفس المرجع ص ١٣٧

٢) أبو عبيد : الأموال ص ١٢٧

٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ١٥ ـ ١٦

٤) النووي : روضة الطالبين ٢٠٨/١٠

فإذا هاجم الأعداء دار الإسلام واستولوا على شيء منها صار الجهاد فرضاً عينياً على المسلمين، فإذا أعلن الإمام النفير العام وجب على كل فرد منهم أن يطيعه بما يقدر عليه من الجهاد بنفسه وبماله، حتى أن الابن بخرج دون إذن أبيه ، لأن حق الوالدين لايظهر في فروض الأعيان، كالصلاة والصوم، والزوجة دون إذن زوجها.

وقال الكاساني ـ في حكم الجهاد إذا عم النفير بأن هجم العدو على بلد من بلاد المسلمين : «إذا عم النفير بأن هجم العدو على بلد ـ فهو فرض عين ـ يفترض على كل واحد من آحاد المسلمين ممن هو قادر عليه، لقوله سبحانه وتعالى : «**انفِرْوا خِفَافاً وثِقَالاً**» قيل : نزلت في النفير، وقوله تعالى : «ما كانَ لأهْلِ المدينةِ ومنْ **حَوْلَهم** من الأعـراب أنْ يتخلَّفُـوا عن رسـولِ الله ولا يرغَبُـوا بأنْفسهم عن نفْسِه»، **ولأن** الوجوب على الكل قبل عموم النفير ثابت ، لأن السقوط عن الباقين بقيام البعض به، فإذا عم النفير لايتحقق القيام به إلا بالكل، فبقى فرضا على الكل عينا بمنزلة الصوم والصلاة، فيخرج العبد بدون إذن مولاه، والمرأة بغير إذن زوجها، لأن منافع العبد والمرأة في حق العبادات المفروضة عيناً مستثناة عن ملك المولى والزوج شرعاً، كما في الصوم والصلاة، وكذا يباح للولد أن يخرج بغير إذن والديه، لأن حق الوالدين لايظهر في فروض الأعيان كالصوم والصلاة، والله سبحانه وتعالى أعلم»[1]

لقـد حافظ المسلمون على أرض فلسطين ـ باعتبارها جزءا لا يتجزأ من دار الإسلام ـ منذ أن فتحها الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وعندما تعرضت تلك البلاد لهجمات الصليبيين الهمجية، والذين استطاعوا بواسطتها أن يستولوا على بيت المقـدس ويؤسسـوا فيه مملكـة اللاتين التي استمرت حوالي مائة سنة، انطلق المسلمون من جميع بقاع الأرض مستشعرين الواجب المقدس : وهو تحرير ما اغتصب من أرض المسلمين، انطلقوا بقيادة القائد المسلم صلاح الدين بعد أن عملوا على تصفية العقيدة الإسلامية مما علق بها من انحرافات وتصورات خاطئة، وبعد أن بذلوا الجهد في توحيد كلمة المسلمين ، انطلقوا إلى تحرير الأرض المقدسة التي اغتصبها دعاة التعصب الغربي، فكلل الله جهودهم بالنجاح والتحرير.

وعندما ساوم «هرتزل» السلطان عبد الحميد على أرض فلسطين قال له : « . .

---

١) الكاساني : بدائع الصنائع ـ مطبعة الامام بالقاهرة ٩/٤٣٠١.

إن بلادنا التي حصلنا على كل شبر منها ببذل دماء أجدادنا لايمكن أن نفرط بشبر منها دون أن نبذل أكثر مما بذلناه من دماء في سبيلها»[1]. وأضاف قائلا : «إنني أحب تطبيق المساواة على جميع المواطنين، ولكن إقامة دولة يهودية في فلسطين التي افتتحناها بدماء أجدادنا العظام فلا . . »[2].

*** استمرار صفة الإسلامية على أرض فلسطين بعد الاغتصاب.**

نص العلماء على مسألة شبيهة بحالة فلسطين بعد الاغتصاب وصورة المسألة: إذا غلب أهل الحرب (الأعداء) على جزء من دار الإسلام ،ولم يتمكن المسلمون من تحرير هذا الجزء المغتصب، وطبق الأعداء عليه أحكام الكفر فهل يصير هذا الجزء دار حرب وتزول عنه صفة الإسلامية أم لا ؟

اختلف العلماء في هذه المسألة على عدة أقوال :

١ - ذهب كثير من فقهاء الشافعية إلى استمرار صفة الإسلامية على هذا الجزء المغتصب من دار الإسلام، لأنه خضع لحكم الإسلام واستقر عليه ذلك الحكم، فلا تزول هذه الصفة بحدوث أي عارض كعدوان أو اغتصاب. ويجب على المسلمين بذل جميع ما بوسعهم، من أموال، وأنفس وجاه، ووقت، لتحرير هذا الجزء المغتصب.

قال إبن حجر في تحفة المحتاج نقلاً عن الرافعي وغيره من فقهاء الشافعية «إن دار الاسلام ثلاثة أقسام : قسم يسكنه المسلمون ، وقسم فتحوه وأقروا أهله عليه بجزية، ملكوه، أولا ، وقسم كانوا يسكنونه ثم غلب عليه الكفار»[3]

وقال البجيرمي : «إن دار الإسلام هي الدار التي يسكنها المسلمون ، وإن كان فيها أهل ذمة ، أو فتحها المسلمون وأقروها بيد الكفار ، أو كانوا يسكنونها ثم جلاهم الكفار عنها»[4].

---

١) جواد اتلخان : الخطر المحيط بالاسلام ص ١٢١-١٢٢ نقلاً عن موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية لحسان على حلاق ص ١٨٣.

٢) اتلخان : الاسلام وبنو اسرائيل ص ١٥٢ نقلا عن موقف الدولة العثمانية السابق ص ١٨٣.

٣) ابن حجر : تحفة المحتاج ٩/ ٢٦٩

٤) حاشية البجيرمي ٤/ ٢٧٧-٢٧٨

٢ ـ وذهب أبو حنيفة إلى أن دار الاسلام تصبح دار حرب باجتماع شروط ثلاثة : أحدها : إجراء أحكام الكفار عليها على سبيل الاشتهار، وأن لايحكم فيها بحكم من أحكام الإسلام. والثاني ـ أن تكون متصلة بدار الحرب، فلا يتخلل بينها وبين دار الحرب بلد من بلاد المسلمين، والثالث ـ أن لا يبقى فيها مؤمن ولا ذمى آمنا بالأمان الأول الذي كان ثابتا له قبل استيلاء الكفار، للمسلم بإسلامه، وللذمي بعقد الذمة.[٣]

٣ ـ وذهب الصاحبان من الحنفية (أبو يوسف ومحمد بن الحسن)، إلى أن دار الإسلام تصير دار حرب بشرط واحد : وهو إظهار أحكام الكفر : كأن يرتد أهل البلد المغتصب، ولا يظهروا شعائر الإسلام : من صلاة وزكاة وجمعة وجماعة، ولا يطبقوا أحكام الإسلام. وممن ذهب إلى هذا أيضا المالكية والحنابلة.[٢]

نظرة في آراء الفقهاء

إذا نظرنا في الشروط التي وضعها أبو حنيفة لانتقال دار الإسلام إلى دار حرب وفقدان صفة الإسلامية عن الأرض المغتصبة من دار الإسلام ـ نجد أن هذه الشروط لاتجتمع في أرض فلسطين وأهلها، فهي غير متاخمة لدار الحرب، وأهلها يظهرون شعائر الإسلام : من صلاة جماعة وجمعة وعيدين وصيام وغير ذلك. ويطبقون الأحكام الشرعية في كثير من معاملاتهم.

وعلى فرض تحقيق هذه الشروط فلا يمكن زوال صفة الإسلامية عن أرض فلسطين التي شرفها الله بالفتح الإسلامي، وأستقر عليها حكم الإسلام مدة من الزمن، ولا يتمكن أن يفتي عالم بغير ذلك فعندما تعرضت بلاد المسلمين لغزو التتار وهجماتهم أنكر أحد علماء الحنفية : وهو الإمام الإسبيجابي على من زعم أن الأرض

---

١) الفتاوي الهندية ٢/٢٣٢، البحر الزخار للمرتضى ٣/٣٠١

٢) الفتاوي الهندية ٢/٢٣٢، ابن هبيرة : الافصاح ٢/٢٣٠ الدمشقي : رحمة الأمة ٢/١٢٩.

التي اغتصبها التتار صارت دار حرب. فقال: «إن دار الاسلام لا تنقلب الى دار حرب . . وذكر شروط الامام أبي حنيفة»[1]، وقال الشيخ إبراهيم الحلبي الحنفي بعد أن ذكر شروط أبي حنيفة «فالاحتياط هذه البلاد دار إسلام وإن كانت اليد في الظاهر للمـلاعين، ولهؤلاء الشياطين، ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين»[2] ويؤيد ذلك ما ذكره البجيرمي.

وأما الشرط الذي وضعه جمهور الفقهاء فهو غير متحقق في أهل فلسطين، وأما رأي الشافعية في هذه المسألة فهو حسن. وأقرب الآراء إلى الصواب، لأنه يحمل مسؤولية تحرير الجزء المغتصب من دار الإسلام إلى جميع المسلمين، وينظر إليه على أنه جزء لا يتجزأ من دار الإسلام إلى يوم القيامة، ولا يعتبره جسمًا غريباً عن دار الإسلام.

وقد أيد هذا الرأي كل من الشيخ محمد رشيد رضا، والدكتور وهبه الزحيلي.

جاء في تفسير المنار «دار الإسلام. فيها أربعة آراء: الرأي الأول وهو أقرب الآراء إلى نصوص جمهور الفقهاء أن كل ما دخل في محيط سلطان الإسلام، ونفذت فيها أحكامه، وأقيمت شعائره، قد صار من دار الإسلام، ووجب على المسلمين عند الاعتداء عليه أن يدافعوا عنه وجوبا عينياً، كانوا كلهم آثمين بتركه، وإن استيلاء الأجانب عليه لايرفع عنهم وجوب القتال لاسترداده، وإن طال الزمان. فعلى هذا الرأي يجب على مسلمي الأرض إزالة سلطان جميع الدول المستعمرة لشيء من الممالك الاسلامية، وإرجاع حكم الإسلام إليها، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وعجزهم الآن عن ذلـك لايسقط عنهم وجوب توطين أنفسهم عليه. وإعداد ما يمكن من النظام والعدة له، وانتظار الفرص للوثوب والعمل»[3].

وجاء في كتاب آثار الحرب في الفقه الاسلامي للدكتور وهبه الزحيلي «نجد في تحديد هذه الدار - أي دار الاسلام - أربعة آراء للعلماء، نختار منها الرأي الأول، لأنه أقرب الآراء الى نصوص جمهور الفقهاء وهو أن كل ما دخل من البلاد في محيط

---

١) نقلاً عن العلاقات الخارجية في دولة الخلافة للدكتور عارف أبو عيد - دار الارقم بالكويت ط ١ ١٤٠٤هـ ص ٦٠.
٢) ابراهيم الحلبي: در المنتقى في شرح الملتقى ١/ ٦٣٤.
٣) تفسير المنار دار المعرفة ببيروت ١٠/ ٣١٦

سلطان الإسلام، ونفذت فيها أحكامه وأقيمت شعائره قد صار من دار الإسلام، ووجب على المسلمين عند الاعتداء عليه أن يدافعوا عنه وجوباً كفائيا بقدر الحاجة وإلا فوجوباً عينياً، وكانوا كلهم آثمين بتركه، وإن استيلاء الأجانب عليه لا يرفع عنهم وجوب القتال لاسترداده وإن طال الزمان، فمثل فلسطين اليوم والجزائر في الأمس القريب تعتبر كل منهما دار إسلام، يجب على المسلمين جميعهم تطهيرها من الدخيل»[1].

بهذا يتبين أن صفة الإسلامية ملازمة لأرض فلسطين، لا تنفك عنها لأي عارض كاغتصاب أو احتلال أو نحوه، ولا صحة لقول القائل: «.. وهذا بخلاف قرية إسلامية في حدود الأرض التي تغتصبها إسرائيل أو يسيطر عليها الشيوعيون ويمنعون فيها الشعائر قهراً وجبراً، وكبلاد أوربا النصرانية فهذه كلها ليست دار إسلام، لأن الشعائر لا تظهر منها إلا تسامحا بسبب الإنكار»[2].

وإذا ثبتت استمرارية هذه الصفة على أرض فلسطين فيجب على جميع المسلمين وجوباً عينياً أن يعملوا على تحرير هذه الأرض الاسلامية وتخليصها من قبضة الغاصبين، وإرجاعها لتحكم بالإسلام وشريعته الغراء.

آثار الفتح الإسلامي لفلسطين

لقد كان للفتح الإسلامي لفلسطين أثر كبير في زيادة قدسية المسجد الأقصى، واستقرار الحياة العامة في بلاد فلسطين، حيث استقرت الحياة السياسة والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

أولا: المكانة التي تمتع بها المسجد الأقصى في الإسلام.

احتل المسجد الأقصى في نفوس المسلمين مكانة مرموقة منذ أن كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم يتوجهون في الصلاة إليه، ومنذ أن شرع

---

١) د. وهبه الزحيلي: أثار الحرب في الفقه الاسلامي ـ دار الفكر بدمشق ط٣ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ص ١٦٩.

٢) د. مصطفى وصفي: مصنفة النظم الاسلامية ـ مكتبة وهبة بالقاهرة ط ١ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ص ٢٨٧.

النبي صلى الله عليه وسلم ببيان بعض الأحكام الخاصة به. ولذلك سارع عمر رضى الله عنه إلى تنظيف الصخرة بعد الفتح مباشرة، فأزال الأوساخ التي كان النصارى يلقونها عليها، نكاية في اليهود الذين كانوا يصلون إليها، وقام عبد الملك بن مروان بتجديد بناء المسجد الأقصى وبناء قبة الصخرة، وقد حرص المسلمون على أن يكون المسجد الأقصى عامرا بالمصلين، ومفتوحا لجميع الزائرين من المسلمين.

أ ـ الأحكام الخاصة بالمسجد الأقصى.

١ ـ استحباب زيارته وشد الرحال إليه .

اتفق علماء المسلمين على استحباب زيارة المسجد الأقصى للعبادة المشروعة فيه: كالصلاة والدعاء والذكر وقراءة القرآن والاعتكاف والصوم ، لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى»[١] وفي رواية : «تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد»[٢].

وفي رواية ثالثة : «إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد : الكعبة، ومسجدي هذا، ومسجد إيلياء»[٣]

فالحديث يدل على فضل هذه المساجد الثلاثة ومزيتها على غيرها، ولكونها مساجد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فهم الذين بنوها ودعوا الناس إلى زيارتها للعبادة والصلاة فيها، فإبراهيم عليه السلام هو الذي بنى الكعبة، وسليمان عليه السلام بنى المسجد الأقصى، ونبينا محمد صلى اللهعليه وسلم بنى المسجد النبوي، ولم يبن أحد من الأنبياء مسجداً ودعا الناس إلى زيارته للعبادة، إلا هذه المساجد الثلاثة. ولهذا لايجوز تغيير واحد من هذه المساجد الثلاثة عن موضعه.[٤]

---

١) صحيح البخارى مع العيني ٢٥١/٧، صحيح مسلم مع النووي ١٦٨/٩ مسند أحمد ٢٣٤/٣.

٢) صحيح مسلم مع النووي ١٦٨/٩

٣) نفس المرجع.

٤) أنظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوي ٣٥٣/٢٧.

ومما يؤيد استحباب زيارة المسجد الآقصى : ما روى الحاكم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم «أن سليمان عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلالاً ثلاثـاً، فأعطاه اثنتين، وأرجوا أن يكون أعطاه الثالثة : سأل ملكاً لاينبغي لأحد بعده، فأعطاه إياه، وسأل حكمًا يواطيء حكمه، فأعطاه إياه، وسأله من أتى هذا البيت لايريد إلا الصلاة فيه أن يخرج من الذنوب كيوم ولدته أمه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا أرجوا أن يكون قد أعطاه الثالثة»[1].

قال ابن تيمية : «وقد كان ابن عمر رضى الله عنه، يأتي إليه فيصلي فيه، ولا يشرب فيه ماء لتصيبه دعوة سليمان ، لقوله «لايريد الا الصلاة فيه» فإن هذا يقتضي إخلاص النية في السفر إليه، ولا يأتيه لغرض دنيوي أو بدعة»[2].

مايراعى في زيارة بيت المقدس

وينبغى للزائر أن لا يقبل أو يستلم أو يتمسح بقبر من قبور الأنبياء ولا غيرهم، ولا صخرة بيت المقدس، ولا يصلي عند قبر من قبور الأنبياء، أو مقام من مقامات الصالحين.

وينبغي أن يعلم : أن السفر الى بيت المقدس بعد الحج ليس بقربه، وقول القائل: تقديس الحجة قول باطل لا أصل له.

وينبغي أن يعلم أن زيارة معـابـد الكفار : ككنيسة القيامة أو كنيسة المهد للعبادة منهى عنها.

قال ابن تيمية : «ومن زار مكاناً من هذه الأمكنة معتقدا أن زيارتها مستحبة والعبـادة فيهـا أفضل من العبادة في بيته ، فهو ضال خارج عن شريعة الإسلام، يستتاب فإن تاب وإلا قتل»[3]

---

١) مر تخريج الحديث . وهو حديث صحيح .

٢) ابن تيمية : مجموع الفتاوي ٦/٢٧ .

٣) المرجع السابق ١٤/٢٧ .

١ ـ فضل الصلاة في المسجد الأقصى.

حينما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس، دخل المسجد الأقصى وصلى فيه، ثم التفت فإذا النبيون أجمعون يصلون معه.[١] ولما فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس سأل كعب الأحبار عن المكان الذي يصلى فيه فقال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة: فكانت القدس كلها بين يديك، فقال عمر: ضاهيت اليهودية، ولكن أصلى حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم إلى القبلة فصلى.[٢]

وقد ورد في مضاعفة الصلاة في المسجد الأقصى عدة أحاديث منها:

أ ـ روى الطبراني عن ميمونة بنت سعد قالت: يارسول الله، أفتنافي بيت المقدس، قال: أرض المحشر، وأرض المنشر، ائتـوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة. قلنا: يارسول الله، فمن لم يستطع أن يتحمل إليه؟ قال: من لم يستطع أن يأتيه فليهد إليه زيتاً يسرج فيه، فإن من أهدى إليه زيتاً كان كمن أتاه».

قال الهيثمي: روى أبو داود قطعة منه في حديث ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم، ورواه أبو يعلى بتمامه من حديث ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ـ والله أعلم ـ ورجاله ثقات.[٣]

فالحديث يدل: على أن الصلاة في المجسد الأقصى أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام والمسجد النبوي، فالصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة.[٤]، والصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة[٥]، كما يدل الحديث على استحباب إهداء الزيت له عند عدم القدرة على زيارته: ويقصد بذلك تقديم العون المادي للاسهام في إعماره أو إصلاح أوضاعه.

ب ـ وروى الطبراني والبزار عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه

---

١) مسند الامام أحمد ١/٢٥٧

٢) الهيثمي: مجمع الزوائد ٤/٦

٣) نفس المرجع

٤) الجراعي: تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد المكتب الاسلامي ببيروت ط١ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ص١٣٨.

٥) نفس المرجع.

وسلم: «الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة» رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات وفي بعضهم كلام، وهو حديث حسن.[1]

فالحديث يدل على أن الصلاة في المسجد الأقصى أفضل من خمسائة صلاة فيما سواه من المساجد، إلا المسجد الحرام، والمسجد النبوي. قال ابن تيمية : والصواب في الأقصى بخمسمائة.[2]

جـ - روى ابن ماجه في سننه من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة الرجل في بيته بصلاة، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة، وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمسمائة صلاة، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة» وهو حديث ضعيف؛ لأن في إسناده أبا الخطاب الدمشقي، وهو لايعرف.[3]

مما سبق يتبين : أن أصح الأحاديث الواردة في فضل الصلاة في المسجد الأقصى هما : الحديث الأول والثاني، وهما يدلان دلالة واضحة على فضل ثواب المصلي في المسجد الأقصى. وقد كان المسلمون يتسابقون إلى الصلاة فيه من جميع بقاع الأرض، طمعا في رضا الله ومثوبته، دون أن يضع الواحد منهم نصب عينيه رقماً معيناً، لأن الله تعالى يضاعف الحسنة الواحدة أضعافا مضاعفة ، ولا يقف بالأجر والثواب عند رقم معين ، ولأن العدد لامفهوم له كما هو مقرر في أصول الفقه، وإنما المقصود أن الأجر فيها عظيم، والثواب فيها كبير - والله أعلم -

٣) استحباب الإحرام من المسجد الأقصى بالحج والعمرة.

أ - روى أبو داود قال : حدثنا أحمد بن صالح ، ثنا ابن أبي فديك، عن عبدالله بن

---

١) الهيثمي : مجمع الزوائد ٧/٤
٢) الجراعي : تحفة الراكع والساجد ص ١٨٠
٣) نفس المرجع.

عبد الرحمن بن يُحَنِّس، عن يحيى بن أبي سفيان الأخنسي، عن جدته حكيمة، عن أم سلمة ـ زوج النبي صلى الله عليه وسلم: أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أهلَّ بحج أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أو وجبت له الجنة» شك عبدالله أيتهما.[1]

ب ـ روى الإمام أحمد ـ بسنده ـ إلى أم سلمة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أحرم من بيت المقدس غفر له ما تقدم من ذنبه»[2]

جـ ـ وروى ابن ماجه ـ بسنده ـ عن أم سلمة أيضاً قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أهلَّ بعمرة من بيت المقدس كانت كفارة لما قبلها من الذنوب»[3]

د ـ وقد عمل بمقتضى هذه الأحاديث جماعة من الصحابة والتابعين وسلف الأمة: ومن هؤلاء ابن عمر، ومعاذ بن جبل، وكعب الأحبار، ووكيع وغيرهم. روى المقدسي في فضائل القدس ـ بسنده ـ عن نافع عن ابن عمر «أنه أحرم عام الحكمين من بيت المقدس» وفي رواية أخرى عن سالم عن ابن عمر «أنه أحرم بالعمرة في بيت المقدس»[4]

قال ابن حزم: «صح عن ابن عمر أنه أحرم من بيت المقدس»[5]

وقال ابن المنذر: «وثبت أن ابن عمر أهلَّ من إيلياء ـ وهو بيت المقدس»[6]

وروى ابن حزم ـ بالسند ـ عن عبدالله بن أبي عمار: أنه كان مع معاذ ابن جبل وكعب الخير: فأحرما من بيت المقدس بعمرة، وأحرم معهما.[7]

وذكر أبو داود في سننه عن وكيع: «يرحم الله وكيعاً» أحرم من بيت المقدس يعني

---

١) سنن ابي داود ٢/١٤٤، البيهقي: السنن الكبرى ٥/٣٠

٢) مسند الإمام أحمد ٦/٢٩٩.

٣) سنن ابن ماجه ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٣م ٢/٩٩٩

٤) ضياء الدين المقدسي: فضائل بيت المقدس ـ دار الفكر بدمشق ط١ ١٩٨٥ ص ٨٩

٥) ابن حزم: المحلي ـ مكتبة الجمهورية بالقاهرة ١٣٨٨هـ ٧/٧٢

٦) النووي: المجموع شرح المهذب ٧/١٧٢، العراقي: طرح التثريب في شرح التقريب ٥/٦

٧) ابن حزم: المحلي ٧/٧٣

إلى مكة»[1].

وروى الإمام أحمد في مسنده : أن أم حكيم ابنة أمية بن الأخنس، ركبت إلى بيت المقدس ، حتى أهلَّت منه بعمرة.[2]

آراء الفقهاء في هذه المسألة

أجمع العلماء على جواز تقديم الإحرام للحج والعمرة عن الميقات المكاني، وقد نقل الإجماع كثير من العلماء : منهم : ابن المنذر، والخطابي، فقال ابن المنذر : «أجمع أهل العلم : على أن من أحرم قبل أن يأتي الميقات فهو محرم»[3] ولم يخالف في ذلك إلا داود، وتبعه ابن حزم حيث قال : «فإن أحرم من شيء من هذه المواقيت وهو يمر عليها فلا إحرام له، ولا عمرة له، إلا أن ينوي إذا صار في الميقات تجديد إحرام، فذلك جائز، وإحرامه حينئذ تام، وحجه تام، وعمرته تامة»[4] ولكن قوله هذا مردود ـ كما قال النووي وغيره ـ بإجماع من قبله من العلماء.[5]

وأختلفوا في أيهما أفضل : أن يحرم من الميقات، أم يُقَدَّم الإحرام عن الميقات كأن يحرم من دُويرة أهله، أو من بيت المقدس أو نحوه ؟ فذهب الحنفية وبعض الشافعية : إلى أن الأفضل تقديم الإحرام عن الميقات ، فله أن يحرم من دويرة أهله أو من بيت المقدس، لأنه أكثر تعظيمًا وأوفر مشقة ـ والأجر على قدر المشقة ـ كما استدلوا بأحاديث الإهلال من بيت المقدس السابقة، وبفعل جماعة من الصحابة والتابعين وسلف الأمة ، كابن عمر، ومعاذ، وكعب ، وغيرهم.[6]

وذهب المالكية والحنابلة وبعض الشافعية : إلى أن الأفضل الإحرام من

---

١) سنن ابي داود ٢/١٤٤

٢) مسند الامام أحمد ٦/٢٩٩

٣) العراقي طرح التقريب ٥/٦، ابن قدامة : المغنى ٣/٢٦٤

٤) ابن حزم : المحلى ٧/٦٣

٥) النووي : المجموع ٧/١٨٢، العراقي : طرح التثريب ٥/٦

٦) حاشية ابن عابدين ٢/٤٧٨، الزركشي : أعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٢٨٩

الميقات، ويكره الإحرام من دُويرة أهله، أو من بيت المقدس، لأن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم كانوا لا يحرمون إلا من الميقات ، وهم لايفعلون إلا الأفضل. [1]

مناقشة واختيار

لقد ناقش الفريق الثاني أحاديث الإهلال بالحج والعمرة من بيت المقدس، فضعفها بعض العلماء، وحملها البعض الآخر على معنى آخر.

أما الذين ضعفوها فقالوا : إن رواية أبي داود فيها ابن أبي فديك، ويحيى بن أبي سفيان الأخنسي، قال ابن سعد : ابن أبي فديك ليس بحجة[2]، وقال ابن حزم وغيره : يحيى بن أبي سفيان الأخنسي مجهول. [3]

ويجاب عن ذلك : بأن ابن أبي فديك ثقة، ويحتج به في الكتب الستة، قال فيه النسائي : ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن معين : ثقة[4] وأما الأخنسي فهو : شيخ من شيوخ المدينة ، ذكره ابن حبان في الثقات ، قال الذهبي : وثق[5].

فرواية أبي داود يمكن الاحتجاج بها والاعتماد عليها.

أما حديث رواية أحمد : ففي سندها ابن لهيعة[6] ، وفيه مقال معروف.

وأما الذين حملوها على معنى آخر فمنهم : القاضي أبو يعلى الحنبلي حيث قال: إن معنى أهلَّ أي قصده[7]، فيكون معنى الحديث قصد المسجد الأقصى لينطلق منه إلى مكة المكرمة، ولا يحرم إلا من الميقات، ويجاب على ذلك : بأن بعض الروايات صرحت بالإحرام ، فلا يحمل الحديث على غير ذلك.

---

١) ابن جزي : قوانين الاحكام ص١٤٩، ابن قدامة : المغني ٢٦٥/٣، ابن مفلح المبدع ١١٣/٣ الجراعي : تحفة الراكع والساجد ص١٨٨، النووي : المجموع ١٧٩/٧، العراقي : طرح التثريب ٦/٥.

٢) ابن مفلح : المبدع ١١٣/٣، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٦١/٩

٣) ابن حزم : المحلى ٧٤/٧

٤) ابن مفلح : المبدع ١٣/٣، ابن حجر تهذيب التهذيب ٦١/٩

٥) الشوكاني : نيل الأوطار ٣٣٣/٤، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢٢٤/١١، المناوي : فيض القدير ٩١/٦

٦) الجراعي : تحفة الراكع ص ١٨٨

٧) ابن مفلح : المبدع ١١٣/٣ ، الجراعي : تحفة الراكع ص ١٨٨

وبناء على ما سبق فإنه يمكن العمل برواية أبي داود ، فيكون للإحرام من بيت المقدس بالحج أو بالعمرة فضيلة خاصة : وهي غفران الذنوب وتكفيرها ، لأنه قصد الوصل بين أشرف البقاع : بيت المقدس، ومكة المكرمة. والجمع بين الصلاة في أفضل المساجد : المسجد الأقصى ، والمسجد الحرام ـ بإحرام واحد. قال ابن قدامة : «ويحتمل اختصاص هذا ببيت المقدس دون غيره، ليجمع بين الصلاة في المسجدين بإحرام واحد، ولذلك أحرم ابن عمر منه، ولم يكن يحرم من غيره إلا من الميقات»[١] ، وإن بقاء المسجد الأقصى في قبضة اليهود الغاصبين في الوقت الحاضر يحول دون تمكن المسلمين من تطبيق هذا الحكم. ولذا فيجب على المسلمين أن يعملوا على تحريره، وتخليصه من قبضة الغاصبين، ليعود الى وضعه الطبيعي ، ويتمكن المسلمون في جميع بقاع الأرض من أداء نسكهم، كما أرشد إليه رسولنا الكريم في الحديث.

٤ ـ تضاعف فيه السيئات كما تضاعف الحسنات.

حكي عن بعض السلف أن السيئات تضاعف في بيت المقدس كما تضاعف الحسنات؛ وذلك لشرف المكان وتعظيمه.

روى أبو بكر الواسطي عن نافع قال : قال ابن عمر ـ ونحن في بيت المقدس : «يانافع، اخرج بنا من هذا البيت، فإن السيئات تضاعف فيه كما تضاعف الحسنات»[٢] وروى عن كعب الأحبار أنه كان يذهب من حمص إلى بيت المقدس للصلاة فيه، فإذا صار منه قدر ميل اشتغل بالذكر والتلاوة والعبادة حتى يخرج عنه، بقدر ميل أيضا، ويقول : «السيئات تضاعف فيه»[٣] وروى ابن الجوزي عن إسماعيل بن عياش، قال : سمعت جرير بن عثمان، وصفوان بن عمرو ، يقولان : «الحسنة في بيت المقدس والسيئة بألف»[٤]

وقيل : إن السيئات لا تضاعف في الأماكن المعظمة لعموم قوله تعالى : «وَمَن

---

١) ابن قدامة : المغنى ٣/٢٦٥

٢) الزركشي : اعلام الساجد ص ٢٩٠، ابن الجوزي : فضائل القدس ص ٩١.

٣) الزركشي : المرجع السابق.

٤) ابن الجوزي : المرجع السابق.

جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ »[1] ولما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما يرويه عن ربـه تبـارك وتعـالى، قال: «ان الله كتب الحسنـات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله حسنة كاملة، وإن همّ بها فعملهـا كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة»[2]

وتحقيق القول في هذه المسألة أن المضاعفة تقع على العقوبة ومقدارها، لا على كمية السيئات وعددها، فالمقترف لعشر سيئات في بيت المقدس تسجل عليه عشر سيئات، ولكن العقوبة تغلظ، لشرف المكان وتعظيمه، فإن من عصى الملك على بساط ملكه ليس كمن عصاه في موضع بعيد.

فإن قيل: لافرق بين مضاعفة كمية السيئات وعددها ومضاعفة العقوبة وتغليظها.

يقال: إنه جاء: أن من زادت حسناته على سيئاته في العدد دخل الجنة، ومن زادت سيئاته دخل النار، ومن استوت حسناته وسيئاته عدداً كان من أهل الأعراف. فيكون للمضاعفة في العقوبة دون المضاعفة في عدد السيئات معنى. وهو: عدم رجحان السيئات على الحسنات عند الذين يسكنون بيت المقدس، إذا كان عدد الحسنات أكثرمن السيئات.

٥ ـ فضل مجاورة المسجد الأقصى.

ذهب كثير من العلماء إلى إستحباب مجاورة المسجد الأقصى[3]، لما يحصل فيه من الطاعات التي لا تحصل في غيره: من تضعيف الصلوات والحسنات، ولكون بيت المقدس عقر دار المؤمنين يوم اشتداد المحن والفتن، ولأن الدجال لا يدخل بيت

١) آية ١٦٠ من سورة الانعام

٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٢/١٥٠.

٣) الزركشي: اعلام الساجد باحكام المساجد ص٢٩٠، الجراعي: تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد ص١٨٨، ابن الجوزي: فضائل القدس ص ٩١.

المقدس.

وقد سكن بيت المقدس كثير من الصحابة والتابعين والصالحين، ومن هؤلاء :

أ ـ عبادة بن الصامت : الصحابي الجليل، المجاهد الكبير، الذي شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي ولاه عمر رضى الله عنه قضاء حمص، ثم انتقل إلى فلسطين، ومات بها، ودفن ببيت المقدس عام **٣٤هـ**[١].

ب ـ شداد بن أوس، بن ثابت الأنصاري : الصحابي الجليل، ولاه عمر رضى الله عنه إمارة حمص. قال فيه عبادة بن الصامت : «وكان شداد بن أوس ممن أوتى العلم والحلم» نزل فلسطين وسكن بيت المقدس وتوفى فيها سنة **٥٨هـ**.[٢]

جـ ـ أبو ريحانة شمعون الأنصاري : وهو مشهور بكنيته. له صحبة وسماع ورواية كان من الفضلاء الأخيار، سكن بيت المقدس ومات فيها.[٣]

د ـ ذو الأصابع التميمي اليمني : صاحب النبي صلى الله عليه وسلم سكن بيت المقدس ومات فيها[٤].

هـ ـ يعلى بن شداد بن أوس : من كبار التابعين، أدرك زمن النبوة، وأسلم زمن أبي بكر، أتى بيت المقدس للصلاة فيه.[٥]

و ـ محارب بن دثار السدوبي : تابعي، روى عن عمر وجابر وغيرهما. قال. صحبنا القاسم بن عبد الرحمن إلى بيت المقدس فغلبنا على ثلاث : قيام الليل، والبسط في النفقة، والكف عن الناس.[٦]

ز ـ إبراهيم بن أبي عبلة : تابعي روى عن أبي أمامة وأنس، توفى سنة أثنتين وخمسين من الهجرة.[٧]

---

١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ـ دار صادر بيروت ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م ٣/٥٤٦.

٢) المنهاجي : اتحاف الاخصا بفضائل الاقصى ٢/٢٩

٣) نفس المرجع ٢/٢٩ ـ ٣٠

٤) نفس المرجع ٢/٣٢

٥) نفس المرجع ٢/٣٦

٦) نفس المرجع ٢/٤١

٧) نفسـه

ح - إبراهيم بن أدهم : أحد الزهاد ، ذكره ابن حبان في ثقات اتباع التابعين، روى عن الشعبي والثوري، وبقية بن الوليد، أصله من بلخ، انتقل بعد أن تاب وترك الإمارة إلى الشام، طلباً للحلال، وأقام بها مرابطا غازياً على الجهد الجهيد، والفقر الشديد، والخدمة للأصحاب والسخاء الوافر والورع الدائم[1]

ط - الإمام محمد الطرطوشي الفهري المالكي : رحل إلى بلاد الشرق سنة ست وتسعين وأربعمائة وقدم بيت المقدس، وحج وتفقه على أبي بكر الشاشى وسكن الشام ودرس بها.[2]

ي - الإمام أبو حامد الغزالي : حجة الإسلام الطوسى، أقام بدمشق مدة، ثم انتقل إلى بيت المقدس، ورحل إلى الإسكندرية، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى طرسوس. مات سنة خمس وخمسمائة.[3]

ك - الشيخ الزاهد أبو عبدالله الدمشقي، محمد بن أحمد بن إبراهيم، له كرامات ظاهرة، ومناقب جليلة باهرة، وأهل مصر يذكرون عنه أشياء خارقة. قدم بيت المقدس وأقام به إلى أن مات سنة تسع وتسعين وخمسمائة.[4]

ب - عمارة المسجد الأقصى ومسجد الصخرة وعناية الخلفاء بهما.

حينما فتح عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيت المقدس لم يكن المسجد الأقصى المعروف الآن، والواقع في الجهة الجنوبية من الحرم الشريف موجودا، كما أن مسجد الصخرة المشرفة لم يكن موجودا حينئذ. وإنما الموجود المكان الذي أحيط بالسور بما فيه من ساحات واسعة، والصخرة المشرفة، وهذا هو المراد بالمسجد الأقصى في قوله تعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»[5] لأن المسجد شرعاً يطلق على كل

---

١) المرجع السابق ٢/٤٧

٢) المرجع السابق ٢/٥٤

٣) نفســه

٤) نفس المرجع ٢/٥٥

٥) آية : ١ من سورة الاسراء.

موضع من الأرض لقوله صلى الله عليه وسلم «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»[1]، وعرفاً يطلق على المكان المهيىء للصلوات الخمس، وأما المصلى فينطلق على المكان المخصص لاجتماع الأعياد ونحوها، ولأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما كان في بيت المقدس سأل كعب الأحبار عن مكان يبنى فيه المسجد، فقال كعب : خلف الصخرة ـ ليجمع المصلى بين القبلتين ـ فقال عمر رضى الله عنه لكعب : لقد خالطتك يهودية ، بل نبنيه أمامها، فبناه في قبلي المسجد[2] وبذلك يتبين: أن أول من بنى المسجد الأقصى في الإسلام هو : عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وقد اتفق المؤرخون : على أن عمر بن الخطاب قد أقام مسجداً متواضعاً وصغيراً في الجزء الجنوبي من الحرم القدسي، بالقرب من المكان الذي يقال : إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ربط به البراق ليلة الاسراء والمعراج.[3]

وفي عهد عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦هـ) بُني مسجد الصخرة المشرفة وهو من أعظم الآثار الاسلامية في فلسطين وتعتبر قبته من أعظم العمارات الإسلامية في الجمال والفخامة وإبداع الزخرفة، كما تمتاز ببساطة التصميم، وتنسيق الأجزاء، تمَّ بناؤها في (٧٢هـ) ، قال ابن بطوطة في وصفها : «وهي من أعجب المباني وأثمنها وأغربها شكلاً، وقد توفر حظها من المحاسن، وأخذت من كل بديعة بطرف، وهي قائمة على نُشز في وسط المسجد، يصعد إليها في درج رخام، ولها أربعة أبواب، والدائر بها مفروش بالرخام أيضاً محكم الصنعة، وكذلك داخلها . وفي ظاهرها وباطنها من أنواع الزواقة (الزينة) ورائق الصنعة ما يعجز الواصف، وأكثر ذلك مغشى بالذهب، فهى تتلألأ نوراً وتلمع لمعان البرق، يحار بصر متأملها في محاسنها، ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها ، وفي وسط القبة الصخرة الكريمة التي جاء ذكرها في الآثار، فإن النبي صلى الله عليه وسلم عرج منها إلى السماء، وهى صخرة صماء ارتفاعها نحو قامة، وتحتها مغارة في مقدار بيت صغير : ارتفاعها نحو قامة أيضا، ينزل إليها على درج ، وهنالك شكل محراب، وعلى الصخرة شباكان اثنان محكما

---

١) رواه الامام أحمد في مسنده ٢/٢٢٢.

٢) الجراعي : تحفه الساجد ص ١٨٢

٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٧٢ـ ابن خلدون : المقدمة ص ٣١٠.

العمل، يغلقان عليها، أحدهما وهو الذي يلي الصخرة، من حديد بديع الصنعة، والثاني من خشب، وفي القبة ورقة كبيرة من حديد معلقة هنالك، والناس يزعمون: أنها ورقة حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه»[1]

وقد ذهب اليعقوبي: إلى أن عبد الملك بن مروان قصد من عنايته الفائقة ببناء قبة الصخرة صرف أهل الشام عن الذهاب لزيارة الكعبة المشرفة والحج إلى بيت الله الحرام[2]، لئلا يلتقوا بعبد الله بن الزبير الذي خرج على عبد الملك، واعتصم بمكة، وبايعه أهل العراق والحجاز.

ويبدوا أن هذه الرواية من وضع منافسى بني أمية، فقد ذكرها اليعقوبي في تاريخه، ولم يذكرها غيره من المؤرخين، واليعقوبي ينتسب إلى العباسيين، وموقفه معروف من بني أمية. وليس من المعقول أن يقوم عبد الملك ـ الذي كان من التابعين الورعين ـ بمحاولة لتغيير موقع أحد أركان الإسلام، وهو: الحج.

والمنصف من المؤرخين يرى: أن السبب في بناء قبة الصخرة هو: رغبة عبد الملك بن مروان بناء مسجد للمسلمين، يضاهي في جماله وروعته وحسن تنسيقه ما لكنائس النصارى من الروعة، ولاسيما كنيسة القيامة. وفي ذلك يقول المقدسي: «إنه ـ أي عبد الملك ـ عندما رأى قبة كنيسة القيامة ـ وكان المسيحيون يحجون إليها من كل صوب، خشي أن تؤثر بفخامتها وروعتها على قلوب المسلمين، فاعتزم أن يبني في القدس قبة مثلها، أوأحسن منها وفعل»[3]

وقد كانت قبة الصخرة موضع التقدير والعناية والاهتمام من جميع الخلفاء والحكام المسلمين، فهم يسارعون في ترميمها وصيانتها إذا ما ظهر فيها أي تصدع، فقد سارع بترميمها عبد الملك بن مروان بعد تصدعها إثر الزلزال الذي حدث سنة (٨٦هـ)، كما تولى إصلاحها الخليفة العباسي عبدالله المأمون، وأمر الخليفة الحاكم بأمر الله بالإسراع بترميمها إثر زلزال سنة (٤٠٧ هـ)، وبعد أن حرر صلاح الدين بيت المقدس سنة (٥٨٣ هـ) سارع إلى إزالة آثار العدوان الصليبي من صور وتماثيل ونقوش وثنية وغير ذلك.[4]

---

١) رحلة ابن بطوطة ص ٥٨

٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ـ دار صادر ببيروت ٢/٢٦١

٣) المقدسي: أحسن التقاسيم ص ١٦٦

٤) محمد كرد على: خطط الشام ١/١٣٩

وقد سجل في نقوش أسفل رقبة القبة أسماء سلاطين دولة المماليك الذين قاموا بصيانة قبة الصخرة مثل بيبرس الأشرف ، والملك العادل كتبغا، والناصر محمد بن قلاوون. كما أوقف الملك الأشرف برسباي سنة (٨٣٦ هـ) بعض الحبوس والأملاك على قبة الصخرة، وكذلك قدم الملك الظاهر جقمق سنة (٨٥٢ هـ) إلى ناظر الحرم القدسي ألفين وخمسمائة دينار ذهب، ومائة وعشرين قنطارا من الرصاص، لعمارة قبة الصخرة من الخارج، وفي عهد السلطان الأشرف قايتباي سنة (٨٧٢ هـ) صنعت الأبواب النحاسية للمداخل الرئيسية لقبة الصخرة. وفي عهد السلطان سليمان القانوني العثماني كُسِيَ جدار القبة من الخارج بالرخام وبلاط القاشاني. وقد لقيت قبة الصخرة عناية فائقة من سلاطين آل عثمان، كالسلطان محمود، وعبد المجيد، وعبد الحميد، وعبد العزيز، وعبد المجيد الثاني وغيرهم.[١]

وأما المسجد الأقصى المعروف اليوم فقد شرع عبد الملك بن مروان في بنائه بعد أن أتمَّ قبة الصخرة، ولكنه لم يتم الا في عهد ابنه الوليد حتى، قيل : هو الذي بناه. ويصفه المقدسي وغيره من المؤرخين : بأنه طويل عريض، وطوله أكثر من عرضه، وهو في غاية الحسن والإحكام، مبني على أعمدة من الرخام، ملون بالفسيفساء التي ليس في الدنيا أحسن منها.[٢]

وقد حظى المسجد الأقصى بعناية الخلفاء والحكام المسلمين منذ بنائه، فوقفوا الأوقاف عليه، وسارعوا إلى ترميم ما تصدع منه، وأعادوا بناء ما تهدم. فقد روى إبراهيم بن أبي عبلة أنه قال : «رحم الله الوليد، وأين مثل الوليد !! افتتح الهند والأندلس، وبنى مسجد دمشق، وكان يعطيني قطع الفضة أقسمها على قراء مسجد بيت المقدس»[٣]، وفي سنة (١٥٤ هـ) زار المنصور بيت المقدس فطلب أهل بيت المقدس منه ترميم ما أصاب المسجد الأقصى من خراب بسبب الزلزال الذي أصاب البلاد سنة (١٣٠ هـ)، ولعدم توفر المال اللازم لذلك لديه أمر بنزع الصفائح الذهبية والفضية التي كانت ملبسة على الأبواب وضربت نقوداً وانفقت على تعمير المسجد الأقصى[٤]. وعندما زاره الخليفة المهدي سنة (١٦٣ هـ) طلب أهل بيت المقدس

---

١) العابدي : الآثار الاسلامية في فلسطين والأردن ص ٩٣

٢) ياقوت : معجم البلدان ١٩٨/٥

٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ٣٥٦.

٤) ابن الأثير : الكامل ٣٧/٥.

تعمير ما خرب منه بسبب الزلزال الذي أصاب البلاد بعد ترميم المنصور له، فأعاد المهدي بناءه، ثم توالت يد الترميم والرعاية للمسجد الأقصى طوال العهود الإسلامية ولم تتوقف هذه الأعمال الا في عهد الاحتلال الصهيوني سنة (١٩٦٧م) بسبب العقبات التي وضعت في طريق المقاولين والمعماريين القائمين بالعمل، هذا فضلاً عن أعمال التنقيب والحفر التي قام بها الأثريون الاسرائيليون بجوار الحرم الشريف؛ مما هدد جميع المقدسات بالتصدع والسقوط.

ثانيا ـ استقرار الحياة العامة في بيت المقدس وما حوله في ظل الحكم الإسلامي.

لقد شهدت مدينة بيت المقدس قبل الفتح الإسلامي لها ثورات ومؤامرات وحروب مدمرة، ومعارك طاحنة، ففي سنة (٥٥٨ ق. م) استولى عليها ملك بابل، فقام الجيش بإحراقها وتدميرها ونهبها، وفي سنة (٥٣٨ ق. م) تعرضت مدينة بيت المقدس لغزو الفرس وفي سنة (٣٣٢ ق. م) تعرضت لغزو الاغريق بقيادة الإسكندر المقدوني، وأبقى الوضع على ما هو عليه من قبل، وتجاوزها إلى مصر. ولما انتقل حكم البطالمة المقدونيين إلى السلوقيين ـ تعرضت مدينة بيت المقدس إلى ثورة يهودية استمرت عدة سنوات، بقيت البلاد خلالها في فوضى وقلاقل داخلية إلى ان تمكن «مكابيوس» من ضبط زمام الأمور في سنة (١٦٣ ق. م) وفي سنة (٦٣ ق. م) تعرضت البلاد للغزو الروماني بقيادة «بومبي» فقام بتحطيم أسوار القدس وتخريبها، وفي سنة (٤٠ م) تعرضت المدينة للغزو الفارسي للمرة الثانية، فقام اليهود بثورة استمرت خمس سنوات[1] . . . وهكذا فإن الثورات لم تهدأ والحروب لم تضع أوزارها في تلك المدينة المقدسة إلى أن تم فتحها على يد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واستظلت بظل الحكم الإسلامي سنة (١٦ هـ ـ ٦٣٦م) فتمتعت بالهدوء والاستقرار طيلة ثلاثة عشر قرناً، باستثناء فترة الحروب الصليبية (٤٩٣ ـ ٥٨٣ هـ / ١٠٩٩م ـ ١١٨٧م) لقد هدأت الثورات ووضعت الحرب أوزارها في تلك المدينة، وحظيت بالأمن والأمان، وأصبحت المكان الآمن لكل من يلوذ إليها، فلما زار برنارد الحكيم

١) انظر : ظفر الاسلام خان : تاريخ فلسطين القديم ٢٣ ـ ١٣٤، مصطفى الدباغ ـ بلادنا فلسطين ص٣٠ ـ ٧٧، اسحق موسى الحسيني : عروبة بيت المقدس ص ٩ ـ ١٧.

القـدس عام (٨٧٠م) تحدث عن استقرارها بقوله : «إنّ المسلمين والمسيحيين في القدس ومصر على تفاهم تام، حتى إنني إذا سافرت ونفق في الطريق جملي أو حماري، وتركت أمتعتي مكانها، وذهبت لاكتراء دابة من البلدة المجاورة، عدت فوجدت كل شيء على حاله لم تمسه يد، فقانون الأمن العام في تلك الديار يقضي على كل مسافر بالليل أن يكون بيده وثيقة تبين هويته، فإذا عَدِمَها زُجَّ في السجن، حتى يُحقق في أمره ويتضح قصده»[1].

وقال المقدسي في وصفها : «إنك لاترى فيها بخساً ولا تطفيفاً ولاشراً ظاهراً ولا سكران، ولا بها دور فسق»[2].

وقـد شهـدت بيت المقدس في ظل الحكم الإسلامي نشاطاً علمياً واسعاً، فتأسست فيها المدارس والمساجد والمستشفيات، وهرع إليها العلماء من كل مكان، حتى أصبحت هذه المدينة دارة العلم والعلماء.[3]، وقد خرجت بيت المقدس أسرة آل قدامة التي تركت أثرها الواضح في تاريخ الفكر الإسلامي ، والتي رحلت من جماعيل واستقرت في الصالحية بدمشق، وأخرجت من العلماء ما يزيد عن (١١٥) عالماً بين رجال ونساء ، على امتداد ثلاثة قرون ونصف منهم :

الحـافظ الامام عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور الجماعيلي المقدسي (ت ٦٠٠هـ) ولد في جماعيل سنة (٥٤١ هـ)، وانتقل إلى دمشق صغيراً ، ثم رحل إلى بغداد ومصر والإسكندرية وسمع الحديث من الحافظ السلفي وغيره، حتى أصبح حافظ الـوقت ومحـدثه، واشتهر بكثرة التصانيف : كعمدة الأحكام من كلام خير الأنـام، والكمال في أسماء الرجال، والنصيحة في الأدعية الصحيحة وغيرها، توفى بمصر سنة ستمائة للهجرة.[4]

وضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي (ت ٦٤٣ هـ) : ولد في دمشق وبنى فيها المدرسة الضيائية، من مؤلفاته : سبب هجرة المقادسة إلى دمشق ،

---

١) زياد نقولا : رواد الشرق العربي في العصور الوسطى ص٥٥ نقلاً عن بلادنا فلسطين ص١٣٠.

٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٧٧

٣) انظر : د. عبد الجليل المهدي : المدارس في بيت المقدس . مكتبة الأقصى ١٩٨١م.

٤) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ـ مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ٢/٥

والأحاديث المختارة وفضائل الشام وغيرها.[1]

وعبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (٦٣٠ هـ) : ولد في سنة (**٥٤١** هـ) بجماعيل، وقدم دمشق مع أهله وله عشر سنين، صاحب كتاب المغنى في الفقه[2].

وجمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي (**٩٠٩** هـ) صاحب التصانيف الكثيرة والتي بلغت أكثر من ستمائة مصنف.[3]

وعبد الغني بن اسماعيل بن عبد الغني النابلسي (**١١٤٣** هـ) : صاحب كتاب الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية. والذي جاء فيه (وقد زرنا في تلك القرية ـ يعنى جماعيل ـ ديار أجدادنا بنى قدامة الذين هاجروا من تلك البلاد، وجاءوا إلى دمشق وسكنوا بالصالحية في ذيل جبل قاسيون . . »[4].

وعائشة بنت محمد بن عبد الهادي المقدسي (٨١٦ هـ)، سيدة المحدثين في عصرها بدمشق ، روى عنها ابن حجر العسقلاني ، وقرأ عليها كتباً كثيرة، وانفردت في آخر عصرها بعلم الحديث، قال الصفدي : كانت أسند أهل الأرض في عصرها.[5]

---

١) ابن كثير : البداية والنهاية ١٣/ ١٦٩.

٢) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ـ مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٢م ٢/ ١٣٣.

٣) انظر : «ابن عبد الهادي وأثره في الفقه الاسلامي» ـ رسالة دكتوراه للمؤلف مطبوعة على الآلة الكاتبة.

٤) الحضرة الانسية في الرحلة القدسية ـ مكتبة القاهرة ١٩٧١ م ص١١.

٥) محمد بن طولون : القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية تحقيق محمد دهمان نشره مكتب الدراسات الاسلامية بدمشق ١٩٤٩م ص٣١٠.

الخاتمـــة

هذه هي الخصائص العامة لبيت المقدس وما حوله، حاولت جهدي إبرازها بصـورة واضحـة جلية ومـدعمـة بالأدلة الثابتة القوية، وعرضت خلالها الأحكام والمسائل الفقهية الخاصة ببيت المقدس، عرضاً يعتمد على الاستدلال والتحقيق، ويتضح من هذا البحث الأمور التالية :

١ ـ إن أرض بيت المقدس وما حوله مباركة، أثبت الله فيها الخير الإلهي كثبوت الماء في جوف الأرض، فهي جنة الله في أرضه من الناحية المادية، وهي دار الأنبياء والصالحين أحياء وأمواتاً، وهي أرض المحشر والمنشر في آخر الزمان، تضاعف فيها الحسنات، وتنمو بها الأجور، ويحرص الصالحون على زيارتها وسكناها، فينبغي أن تكون طريقها سالكة ، والسبل المؤدية إليها مأمونة، وأن تزال كل العقبات التي تحول دون الوصول إليها من عدوان أو اغتصاب.

٢ ـ إن أرض بيت المقدس وما حوله مقدسة مطهرة من الشرك والظلم : فهي لا تتحمل الشرك المنافي للتوحيد الخالص، وهي تتأفف من وجود أمم فاسدة وعاتية ، ودول ظالمـة ومتعـالية، ولا تمكن لتلك الأمم والدول من العيش فيها مدة طويلة، وهي تنفي خبثها كما تنفي النار خبث الفضة، وهذه صفة ثابتة ومستمرة مادامت السمـوات والأرض، توكـل الله تعالى برعايتها، وتنفيذ وعيده بالأمم والدول الظالمة «وإنْ عُدتُّم عُدْنا»[1]، ومما لا شك فيه أن هذا الوعيد سيحيق بيهود اليوم الذين طغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد ، فاغتصبوا الأوطان، ودمروا البيوت على ساكنيها، وأهلكوا الحرث والنسل. قال صلى الله عليه وسلم : «تقاتلكم اليهود فتُسَلَّطُونَ عليهم، حتى يقول الحجر : يامسلم، ياعبد الله، هذا يهودي ورائي فاقتله»[2]، ولكن قدر الله في اليهود لا يتحقق إلا على أيدي

---

١) آية : ١ من سورة الاسراء.

٢) مر تخريجه وهو صحيح رواه الإمام مسلم في صحيحه.

ثلة من المؤمنين، الذين اعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبـاعوا أنفسهم وأموالهم لله تعالى - كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث، فينبغي لمسلمي اليوم : أن يهيئوا أنفسهم ، ويعدوا العدة لذلك اليوم الفاصل « وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا »[1] .

٣ ـ إن أرض بيت المقدس وما حوله إسلامية، فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحاً مادياً حينما أسرى به إليها بروحه وجسده ، وفتحها الخليفة الراشد عمر بن الخـطاب رضى الله عنـه في السنة السادسة عشرة للهجرة، ومنذ ذلك الوقت اكتسبت صفة الإسلامية ، ودخلت في دار الإسلام وأصبحت جزءاً لا يتجزأ منها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلا تزول عنها تلك الصفة لأي عارض من عدوان أو اغتصاب، ويجب على المسلمين : أن يدافعوا عنها بكل ما يملكون من قوة، ويعملوا على تحريرها كاملة من أيدي الغاصبين، الذين يعملون على إزالـة معـالم الإسـلام العـامـة فيهـا، كالمساجد والأحياء القديمة، والأسواق الإسلامية وغير ذلك.

٤ ـ إن معرفة هذه الخصائص توجب على المسلم رفض جميع الحلول الاستسلامية المطروحة في هذا الوقت لحل القضية الفلسطينية، لأنها تتضمن التنازل الفعلي عن غالبية أرض فلسطين الإسلامية المباركة ليهود، في مقابل السلام الهزيل.

٥ ـ إن معرفة هذه الخصائص توجب على المسلم رفض فكرة الوطن البديل عن أرض الإسراء والمعراج، لأنها ليست مجرد أرض عاش عليها شعب وأقام عليها كيانه، وإنـما هي أرض مبـاركة ومقدسة، نبتت فيها عقيدة التوحيد، ونشأت عليها حضارة الإسلام ، وكل جزء منها ينبئك بتاريخ عريض، ومجد تليد : اختلط ترابها الطاهر بدم الأنبياء والحواريين وسرى إليها رسولنا الكريم واستشهد فيها كثير من الصحابة والتابعين، فهى عند المسلم قضية عقيدة وحضارة ، وليست قضية أرض وتراب.

---

١) آية : ٥١ من سورة الاسراء.

٦ - إن حرص الخلفاء والحكام الدائم على عمارة المسجد الأقصى وترميمه كلما أصابه شيء من التصـدع أو التلف يوجب على حكـام المسلمين اليوم في جميع بقاع الأرض : العمل الجاد على تحرير المسجد الأقصى من قبضه يهود، الذين يبيتون النية على إزالته من الوجود، لإقامة الهيكل مكانه.

والله أسأل أن يبعث في هذه الأمة من يجدد لها أمر دينها، فيبصرها بطريق الذين أنعمت عليهم، ويجنبها طريق المغضوب عليهم والضالين، وييسر لها طريق الجهاد والتحرير، لإقامة حكم الله في واقع البشر أجمعين.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت ، استغفرك، وأتوب إليك.

فهرس المراجع والمصادر

أولاً : كتب التفسير

١ ـ تفسير القرآن الكريم لأبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ) دار المعرفة ببيروت .

٢ ـ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١ هـ) دار احياء التراث العربي ببيروت ـ ١٩٦٥ م

٣ ـ زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (٥٩٦ هـ) المكتب الاسلامي ببيروت ط ١ ١٩٦٤ م .

٤ ـ تفسير المنار ـ السيد محمد رشيد رضا ـ دار المعرفة ببيروت ط ٢

ثانياً : كتب الحديث

٥ ـ تهذيب التهذيب لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر (٨٥٢ هـ) دار صادر ببيروت ـ مصور عن طبعة دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٢٥ هـ .

٦ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول لمجد الدين أبى السعادات ابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦ هـ) ـ دار البيان بدمشق ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .

٧ ـ سنن ابن ماجة ـ لأبى عبد الله محمد بن زيد القزويني المعروف بابن ماجه (ت ٢٧٥ هـ) مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٧٣هـ.

٨ ـ سنن ابى داود ـ لأبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى (٢٧٥ هـ) دار احياء السنة المحمدية ـ مصور .

٩ ـ سنن الترمذي ـ لأبي عيسى محمد بن عيسى من سورة (٢٧٩ هـ) دار احياء التراث العربي ببيروت .

١٠ ـ السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ـ دار الفكر ببيروت .

١١ ـ شرح النووى على مسلم ليحى بن شرف بن مري الحورانى النووى (٦٧٦ هـ) المطبعة المصرية بالقاهرة .

١٢ ـ صحيح البخارى لأبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى (٢٥٦ هـ) المكتب الاسلامي باستانبول ١٩٧٩ م .

١٣ ـ صحيح مسلم لأبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابورى (٢٦١ هـ) طبعة ادارة البحوث العلمية بالرياض ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

١٤ ـ طرح التثريب في شرح التقريب لأبى الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقى (٨٠٦ هـ) ـ دار احياء التراث العربي ببيروت .

١٥ ـ عمدة القارى شرح صحيح البخارى للشيخ بدر الدين ابى محمد محمود بن أحمد العينى (٨٥٥ هـ) دار الفكر ببيروت .
١٦ ـ فضائل بيت المقدس لضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي (٦٤٣ هـ) ـ دار الفكر بدمشق ط ١ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م
١٧ ـ فضائل الشام لأبى الحسن الربعي (٤٤٤ هـ) ـ المكتب الاسلامي ببيروت ط ٤ ١٤٠٣ هـ .
١٨ ـ فيض القدير لعبد الرؤوف المناوى (١٠٣١ هـ) ـ دار المعرفة ببيروت ١٣٩١ هـ ١٩٧٢ م .
١٩ ـ مجمع الزوائد للحافظ نور الدين على بن أبي بكر الهيثمى (٨٠٧ هـ) ـ دار الكتاب العربي ببيروت .
٢٠ ـ مسند الامام أحمد لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (٢٤١ هـ) ـ دار صادر ببيروت .
٢١ ـ مناقب الشام وأهله لأبى العباس تقي الدين أحمد بن تيمية (٧٢٨ هـ) المكتب الاسلامي ـ بيروت طـ ٤ ١٤٠٣ هـ .
٢٢ ـ نيل الأوطار لمحمد بن علي الشوكانى (١٢٥٠ هـ) ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبي بالقاهرة ـ الطبعة الأخيرة .

ثالثا : كتب الفقه

٢٣ ـ الاحكام السلطانية لأبى الحسن علي بن حبيب الماوردى (٤٥٠ هـ مطبعة مصطفى الحلبى بالقاهرة ١٩٥٨ م .
٢٤ ـ الاحكام السلطانية لأبى يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلى (٤٥٨ هـ) مطبعة مصطفى البابى الحلبى بالقاهرة ط ٢ ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م .
٢٥ ـ اعلام الساجد بأحكام المساجد لمحمد بن عبد الله الزركشى (٧٩٤ هـ) ـ طبعة المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة ١٣٨٥ هـ .
٢٦ ـ الافصاح عن معانى الصحاح ليحيى بن محمد بن هبيرة (٥٦٠ هـ) مطبعة الكيلانى بالقاهرة ١٩٨٠م .
٢٧ ـ الأموال لأبى عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤ هـ) ـ مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ط ١ ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م .
٢٨ ـ البحر الزخار الجامع لمذاهب الأمصار ـ أحمد بن يحيى بن المرتضى الزبيدى (٨٤٠ هـ) ـ مؤسسة الرسالة ببيروت ط ٢ ١٣٩٤ هـ .
٢٩ ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين ابى بكر بن مسعود الكاسانى (٥٨٧ هـ) مطبعة الامام بالقاهرة ١٩٧٢ م .
٣٠ ـ در المنتقى في شرح الملتقى لمحمد بن علاء الدين الامام الحصكفى (١٠٨٨ هـ) على هامش مجمع الأنهر ـ دار احياء التراث العربي ببيروت .

٣١ ـ تحفة الراكع والساجد لتقي الدين ابى بكر بن زيد الجراعى الحنبلى (٨٨٣ هـ) المكتب الاسلامي ببيروت ط ١ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .
٣٢ ـ تحفة المحتاج لأحمد بن حجر الهيثمي (٩٧٤ هـ).
٣٣ ـ حاشية البجيرمي على شرح المنهج للانصارى ـ لسليمان بن عمر بن محمد البجيرمي (القرن ١٤ هـ) المكتبة الاسلامية بتركيا .
٣٤ ـ رحمة الأمة في اختلاف الأئمة لمحمد بن عبد الرحمن الدمشقي العثماني (القرن ٨ هـ) مطبوع على هامش الميزان للشعراني ـ دار احياء الكتب العربية بالقاهرة .
٣٥ ـ رد المحتار على الدر المختار «حاشية ابن عابدين» لمحمد أمين الشهير بابن عابدين (١٢٥٢ هـ) ـ دار الفكر ببيروت ١٣٩٩ هـ ـ ١٣٧٩م .
٣٦ ـ روضة الطالبين وعمدة المفتين ليحيى بن شرف بن مُرّى الحوراني النووى (٦٧٦ هـ) ـ المكتب الاسلامي ببيروت ط ٢ ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م .
٣٧ ـ شرح السير الكبير لمحمد بن أحمد السرخسى (٤٨٣ هـ) ـ مطبعة مصر بالقاهرة .
٣٨ ـ فتاوى ابن تيمية تصوير عن الطبعة الأولى (١٣٩٨ هـ) .
٣٩ ـ الفتاوى الهندية ـ للشيخ نظام الدين وجماعة من علماء الهند (١٠٧٠ هـ) دار احياء التراث العربي ببيروت ط ٣ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م .
٤٠ ـ قوانين الاحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية لمحمد بن أحمد بن جزى الغرناطى المالكى (٧٤١ هـ) ـ دار العلم للملايين ببيروت .

٤١ ـ المبدع في شرح المقنع لابى عبد الله محمد بن مفلح (٧٦٣ هـ) ـ المكتب الاسلامي ببيروت ط ١ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .
٤٢ ـ المجموع شرح المهذب ليحيى بن شرف بن مري الحورانى النووى (٦٧٦ هـ) دار العلوم للطباعة بالقاهرة ١٩٧٢ م .
٤٣ ـ المحلى لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (٤٥٦ هـ) ـ دار الاتحاد العربي بالقاهرة. ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨م .
٤٤ ـ المغنى على مختصر الخرقى لابى محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (٦٢٠ هـ) مكتبة الرياض الحديثة بالرياض .

رابعا : كتب التاريخ

٤٥ ـ اتحاف الاخصا بفضائل الاقصى لابي عبدالله محمد بن شهاب الدين أحمد بن علي المنهاجي السيوطي (٨٨٠ هـ) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ط ١ ١٣٩٨ هـ .
٤٦ ـ آثار البلاد واخبار العباد لزكريا بن محمد القزويني (٦٨٢ هـ) دار صادر بيروت ودار بيروت

١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠م .
٤٧ ـ أحسن التقاسيم للمقدسي المعروف بالبشارى (٣٨٠ هـ) ـ مطبعة بريل ليدن ١٩٠٦م .
٤٨ ـ البداية والنهاية لابي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ) ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ط ٢ ١٩٧٧م .
٤٩ ـ بلادنا فلسطين لمصطفى مراد الدباغ ـ دار الطليعة ببيروت ط ١ ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م .
٥٠ ـ تاريخ الامم والملوك لابي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ) دار الفكر ببيروت ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م .
٥١ ـ تاريخ الخلفاء لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١ هـ) دار نهضة مصر بالقاهرة .
٥٢ ـ تاريخ فلسطين القديم لظفر الاسلام خان ـ دار النفائس ببيروت ط ٣ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م .
٥٣ ـ تاريخ اليعقوبي لاحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب اليعقوبي (بعد ٢٩٢ هـ) دار صادر بيروت .
٥٤ ـ تقـويم البلدان لابي الفداء عماد الدين بن اسماعيل صاحب حماة (٧٣٢ هـ) دار الطباعة السلطانية بباريس ١٨٤٠م .
٥٥ ـ خريدة العجائب وفريدة الغرائب لسراج الدين ابي حفص عمر بن الوردي (ت ٧٤٩ هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ط ٢ ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩م .
٥٦ ـ خطط الشام لمحمد كرد علي .
٥٧ ـ الحضرة الانسية في الرحلة القدسية لعبد الغني النابلسي (١١٤٣ هـ) مكتبة القاهرة بمصر .
٥٨ ـ ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي (٧٩٥ هـ) مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .
٥٩ ـ رحلة ابن بطوطة ـ دار التراث ببيروت ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨م .
٦٠ ـ زبدة كشف الممالك ـ غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (٨٧٣ هـ) مطبعة الجمهورية بباريس ١٨٩٤م .
٦١ ـ صورة الارض لابي القاسم بن حوقل النصيبي (بعد ٣٦٧ هـ) منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت .
٦٢ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد دار صادر ببيروت .
٦٣ ـ فتوح الشام لابي عبدالله محمد بن عمر الواقدي (٢٠٧ هـ) المكتبة الاهلية ببيروت ط ١ ١٩٦٦م .
٦٤ ـ فضائل القدس لابي الفرج بن الجوزي (٥٩٧ هـ) دار الافاق الجديدة ببيروت ط ٢ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م .
٦٥ ـ القلائد الجوهرية لمحمد طولون (٩٥٣ هـ) نشر مكتب الدراسات الاسلامية بدمشق ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩م .
٦٦ ـ الكامل في التاريخ لعلي بن محمد بن الاثير (٦٣٠هـ) ـ دار الكتاب العربي ببيروت ط ٢

١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م .
٦٧ ـ معجم البلدان لشهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبدالله الحموى (٦٢٦ هـ) دار صادر ببيروت، ودار بيروت ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٧م.
٦٨ ـ المقدمة لابن خلدون ـ دار النشر العربية المصرية بالقاهرة .
٦٩ ـ نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشمس الدين ابي عبد الله محمد الدمشقي .

خامساً : كتب اللغة

٧٠ ـ تهذيب الأسماء واللغات لابي زكريا محي الدين بن شرف النووي (٦٧٦ هـ) دار الكتب العلمية ببيروت .
٧١ ـ المصباح المنير لابي العباس أحمد بن محمد الفيومي (٧٧٠ هـ) المطبعة الاميرية بالقاهرة ط ٦ ١٩٢٦م .
٧٢ ـ المفردات في غريب القرآن للحسين بن محمد الراغب الاصفهاني (٥٠٢ هـ) مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة .
٧٣ ـ النهاية في غريب الحديث للمبارك بن محمد بن الاثير (٦٠٦ هـ) ـ دار الفكر ببيروت .

سادساً : الكتب الحديثة

٧٤ ـ اثار الحرب في الفقه الاسلامي للدكتور وهبه الزحيلي ـ دار الفكر بدمشق ط ٣ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ .
٧٥ ـ أحكام الصيام وفلسفته للدكتور مصطفى السباعي ـ المكتب الاسلامي ببيروت .
٧٦ ـ الاسلام والقضية الفلسطينية ـ عبد الله ناصح علوان ـ مكتبة المنار بعمان ط ١ ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م .
٧٧ ـ الحروب الصليبية لارنست باركر .
٧٨ ـ عروبة بيت المقدس للدكتور اسحق موسى الحسيني ـ منشورات مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ببيروت ١٩٦٩ .
٧٩ ـ العلاقات الخارجية في دولة الخلافة للدكتور عارف ابي عيد ـ دار الارقم بالكويت ط ١ ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣م .
٨٠ ـ فلسطين في الادب الجغرافي العربي للدكتور عماد الدين خليل ضمن كتاب دراسات تاريخية للمؤلف ـ المكتب الاسلامي ببيروت ط ١ ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م .
٨١ ـ المدارس في بيت المقدس ـ للدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدي ـ مكتبة الاقصى بعمان ١٩٨١م .

٨٢ ـ مستقبل اسرائيل بين الاستئصال والتذويب ـ كمال محمد الاسطل ـ دار الموقف العربي بالقاهرة .
٨٣ ـ مصنفة النظم الاسلامية ـ الدكتور مصطفى وصفي ـ مكتبة وهبة بالقاهرة ط ١ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م .
٨٤ ـ من تاريخنا ـ محمد العامري .
٨٥ ـ المؤامرات الصهيونية من خيبر الى القدس ـ حسن فتح الباب .

سابعاً : الدوريات

٨٦ ـ مجلة الامة القطرية .
٨٧ ـ مجلة البلاغ الكويتية .